روايات احلام

الثلج الأسود

www.elromancia.com

مرمورية

روايات احلام

الثلج الأسود

لو كان بيد جوان أن تختار ما بين الثلج والنار، فماذا تختار؟.. الثلج في الخارج حاصرها حتى لم تعد تستطيع الخروج، أما النار فهي نار ربّ عملها براندت ليون الذي احتجزته العاصفة معها وحدهما...

حاولت جوان أن تطمئن رفيقتها على الهاتف بأن لا داعي للقلق:

- أشك في أن مديري يدرك أنني من الجنس اللطيف حتى بعد ثلاث سنوات من العمل معه... بالنسبة له أنا مجرد سكرتيرة فرض عليه القدر صحبتها ليوم واحد..

وما إن رفعت رأسها حتى فوجئت بأن براندت كان يستمع:

- يريحني أن اكتشف أنك امرأة، أنسة سومرز...

وماذا بعد؟ كيف تستطيع أن تحافظ على الحاجز غير المرئي بينهما؟ كيف تبقي سرها الذي خباته طوال سنين دون أن يفضحها قلبها: إنها تحبه، وستفعل المستحيل لئلا يكتشف هذا...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ١٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ الرجل الأسد

تنهّدت كاي قائلةً وقد نفد صبرها:

ـ بالله عليك يا جوان كفّي عن هذه المهاترات. ما هو الأمر الذي تودين القيام به هذه الليلة ولا يمكنك تأجيله إلى الغد؟

تجنبت جوان سومرز أن تقابل نظرة الاتهام التي رمقتها بها صديقتها وتلهّت بوضع علب الطعام الفارغة وبعض الأوراق في سلة المهملات.

ـ المسألة ليست مسألة تأجيل مشروعٍ إلى الغد كاي. أنت تعرفين موقفي من الخروج مع رجل لا أعرفه.

ـ لا يمكنك القول إنك لا تعرفين أيد، فهو شقيق جون.

كان جون تيرنر خطيب كاي، وهو رجل محبوب ولكنه في نظر جوان ممل، مضجر، وميزته الوحيدة المحببة هو حبه المخلص لكاي، وقد استطاع أن يظهر هذا الحب الرومانسي بمئة طريقة وطريقة. ومع ذلك لم يكن من المحتمل أن تجد جوان عند شقيقه إيجابيات أكثر مما تجد عند جون، فهو من النوع الذي لا يعجبها. أما النوع الذي يعجبها من الرجال فهي لم تكن قد حددت معالمه بعد، بالرغم من بلوغها الثالثة والعشرين من عمرها.

اقترحت جوان أن تستبدل بالفتاة التي تعمل على لوحة الهاتف.

ـ لماذا لا تطلبين ذلك من سوزان بدلاً مني؟

قالت كاي ذلك وقد ارتسمت على وجهها علامات السخرية، ثم

تابعت مؤنبة صديقتها:

ـ هل رأيت سوزان يوماً وحيدة؟ فالرجال يتحلقون دائماً حول هذه الفتاة وترينها دائماً مرتبطة في أمسيات يوم الجمعة.

وافقت جوان على ما قالته وهي تشعر قليلاً بالحسرة على نفسها، فيبدو أنها الفتاة الوحيدة التي تمضي معظم عطل نهاية الأسبوع بمفردها في البيت.

ـ أرجوك، يجب أن تذهبي معنا هذه الليلة. فجون لم يعلم إلاّ هذا الصباح أن أيد سيأتي ليتعرّف إليّ. وليس هناك من فتاة أخرى أستطيع أن أطلب منها الذهاب بهكذا وقت قصير.

ـ إنه آتٍ للتعرف إليك، فلماذا لا تذهبون أنتم الثلاثة إلى مكان ما لتناول العشاء؟

نهضت كاي ولحقت جوان التي ابتعدت عن الطاولة وقالت:

ـ إن أيد شقيق جون وليس عمه.

نظرت جوان إلى ساعتها وحاولت تأجيل الموضوع.

ـ دعينا نناقش الأمر الليلة بعد الانتهاء من العمل، يجب أن أعود الآن إلى المكتب.

تجاوزت كاي الممر الذي يقع على اليمين والذي يقود إلى غرف الكومبيوتر حيث تعمل، ولحقت بجوان إلى قسم المكاتب الخاصة لشركة ليون للمقاولات.

ـ لا أستطيع الانتظار حتى الساعة الخامسة، سيمر بي جون بعد العمل ونذهب مباشرة إلى مطار أوهارا لاستقبال أيد. يجب أن أعرف موقفك الآن.

أدركت جوان أن صديقتها قد سدّت عليها كل المخارج. وعلى الرغم من عدم رغبتها في الخروج، عرفت أنها سترضخ لإلحاح صديقتها، خاصة أنه ليس لديها مبرر مقنع للرفض. كانت جوان تفخر بأنها فتاة عملية ومنطقية، وهذا ما جعل تجنبها الصارم للخروج مع

رجل لا تعرفه طفولي وسخيف.

الأمر ببساطة أنها خرجت مع ريك مانفيل قبل أن تعرفه منذ أربع سنوات ووقعت ضحية سحره لتكتشف فيما بعد أنها انضمت إلى العديدات من ضحاياه، فليس هنالك من سبب يدعوها أن تجعل من نفسها غبية مرة أخرى. لقد شعرت بالإذلال أكثر مما شعرت بالألم عندما أدركت أنها مجرد فتاة أخرى عنده. وهي عندما تتأمل الآن ما حدث تدرك كم كان عديم الإحساس، مع أنه بدا وقتها رجلاً قوياً. وقد تطلب الأمر رجلاً قوياً عن حق وواثقاً من نفسه كي يجعلها تدرك ذلك.

ألحت كاي ثانيةً بنبرة توسل:

ـ جوان، يجب أن تذهبي معنا الليلة، أنا وجون نعتمد عليك.

توقفت جوان عند الباب الخارجي للمكتب متفحصة السمراء الأنيقة الواقفة إلى جانبها والتي بدت نظراتها أشبه بنظرات هرّ جائع متحفز. إنها وكاي على طرفي نقيض، فكاي شعرها مجعّد، غامق اللون، وجسمها نحيل، صغير وهي تحب الحياة والمرح. أما جوان فهي بجسمها الممتلىء أشبه بتمثال كلاسيكي، ولها شعر عنبري اللون ملفوفٌ خلف رقبتها على شكل كعكة، وعيناها ذواتا لون بني دافئ ولكنهما تفتقدان إلى تلألؤ عيني كاي. إنّها ودودة مثل صديقتها ولكنها أكثر هدوءاً وأقل فضولاً، وهي تجد صعوبة في مقابلة الغرباء في المناسبات الاجتماعية وخاصة الرجال.

كاي تنخرط في أي مشروع بطيش وتهور فيما جوان تنظم كل خطوة بفعالية.

أدركت جوان أنّ عليها انتهاز الفرصة لقضاء السهرة خارج البيت عوضاً عن التهرب من هذا الموعد الفجائي فقد أمضت مؤخراً الكثير من عطلات نهاية الأسبوع بمفردها، ومع ذلك وجدت صعوبة في إخراج كلمة الموافقة من بين شفتيها. دفعت جوان باب غرفة مكتبها ودخلت وتبعتها كاي التي كررت:

www.elromancia.com

ـ لا يمكنك التخلي عنا، نحن نريد...

ضاعت بقية الجملة منها عندما لاحظت رجلاً يقف إلى جانب جارور مفتوح في خزانة الملفات. وفوراً اعتلى وجه كاي ابتسامة براقة:

ـ نهاراً سعيداً سيّد ليون.

لم تغير تحيتها المرحة معالم وجهه المتجهم الذي رمقها قبل أن يحول نظراته الحادة الزرقاء إلى جوان. كانت تحيط به هالة من القوة اللامتناهية وسمة ثابتة من التحكم والكفاءة تفقد الآخرين شجاعتهم وتعطيهم الاطمئنان في آن.

ـ هل لك أن تخبريني أين أستطيع أن أجد ملف ستيتلر في خِضم هذه الفوضى يا آنسة سومرز؟

قال ذلك وقد وضع أصابعه على شعره البني اللون قبل أن يضع يده على وركه وكأنه يتحداها.

رفعت جوان رأسها بتحدٍ لأن هذا الانتقاد لم يكن مبرراً على الإطلاق ثم مشت مترنّحة نحو الخزانة المعدنية حيث كان واقفاً. وأخذت تعيد بعض الملفات التي أخرجت إلى مكانها.

ـ إذا ابتعدت عن هذه الملفات يا سيد ليون فلن ترى هذه الفوضى. في هذا الجارور لن تجد ملف ستيتلر لأن هذه الملفات تخص الشركات التي تورد المواد فقط.

وبعدما أعادت ترتيب الجارور بصورة مقبولة أغلقته وفتحت الجارور الذي تحته وهي تحس بهذا الرجل الطويل والعريض المنكبين يقف إلى جانبها. بحثت أصابعها بين الملفات عن حرف (س) ضمن فهرست الأبجدية لكنّها لم تستطع تمييز الأحرف الصغيرة للأسماء بدقّة، فسمعت صوت رئيسها المستخف فوق رأسها:

ـ ما الأمر يا آنسة سومرز؟ ألا تستطيعين العثور عليه أيضاً؟

فاستقامت جوان ومشت نحو طاولة مكتبها:

ـ بلى، أستطيع العثور عليه..

ثم التقطت نظاراتها ذات اللونين البني والعنبري الملقاة إلى جانب الهاتف. كانت دائماً تفتخر بأنها تستطيع أن ترى عن بعد ميل ومع ذلك فهي لا تستطيع رؤية أي شيء يبعد عدة سنتيمترات عن أنفها، وفي هذه اللحظة لم تجد اعتمادها على النظارات لكي تستطيع القراءة أمراً مُخجلاً. وضعت النظارات على عينيها واتجهت ثانية نحو الخزانة قائلة:

ـ لسوء الحظ لا أستطيع أن أقرأ الأسماء من دون وضع النظارات.

وفي ثوان بسيطة قدمت له الملف الذي طلبه. أدار براندت ليون وجهه المتجهم نحو الملف مما جعله يخفق في رؤية ابتسامة النصر التي ظهرت على وجهها، ثم قال وهو متجه إلى مكتبه:

ـ سيتوجب عليك في أحد الأيام يا آنسة سومرز أن ترسمي لي مجموعة من الخرائط كي أستطيع العثور على الأشياء الموجودة في هذا الوحش المعدني الذي تديرين.

فزمت شفتيها بقوة فيما كان الباب الموصل إلى غرفته يغلق وراءه.

أطلق انتقاده لها في لحظة غضب ولم يكن ذلك يعني أنه انتقاص من مقدرتها، ومع ذلك شعرت بوخزة من الاستياء.

هزت كاي رأسها بسخرية:

ـ أنت تدهشينني أحياناً يا جوان.

اتجهت جوان نحو طاولة مكتبها وجلست على الكرسي ووضعت حقيبتها في الدرج السفلي للطاولة: لماذا؟

ـ بسبب الطريقة التي تردين بها على السيد ليون كما فعلت الآن، فمن الطبيعي أن لا تتفقا طالما أنك تطلبين من المدير ألاّ يلمس ملفاته.

ـ أنا والسيد ليون نتفق تماماً.

ـ ما أعني هو أن تصرفاتك فاترة معه. كل شيء بينكما هو محض

www.elromancia.com

عمل فقط. فهو يعاملك وكأنك جدة في الخمسين من عمرها، وأنت تعاملينه بالسوء ذاته. تتصرفين معه وكأنه في الخمسين من عمره، لا كرجل عازب يناسبك.

ـ أنا سكرتيرته ولست حبيبته.

ـ حسناً! أنت لن تكوني حبيبته أبداً طالما تنادينه بالسيد ليون طوال الوقت.

ـ هذا ما أنت تنادينه به.

ـ نعم لأني لا ألتقي به إلا نادراً ولو كنت سكرتيرته لجعلت من نفسي ألعوبة له.

ـ ولكانت النتيجة بالتأكيد خسارة وظيفة راتبها جيّد. وكيف كان سيتصرّف جون لو عرف أنك تنصبين شباكك حول رئيس الشركة؟

ـ سيشعر بالغيرة، أليس كذلك؟ ولكنه يعرف أني أحب الغزل والمزاح.

ـ أعتقد أحياناً أن هذا الكلام لا ينطبق تماماً على شخصيتك.

ـ على ذكر جون، ماذا قررت بالنسبة لهذه الليلة؟

انقبض فمها وأومأت برأسها مستسلمة:

ـ سوف أذهب، ولكن لن أرضى بمرافقة شقيق جون طوال عطلة نهاية الأسبوع. سوف أرافقه هذه الليلة فقط.

تنفست كاي الصعداء.

ـ شكراً جزيلاً! سأتي إلى البيت مباشرة من المطار عند السابعة والنصف تقريباً، فكوني جاهزة عندما نصل.

ـ سأفعل.

رن جهاز الاستدعاء فأجابت جوان. فرد عليها صوت براندت ليون:

ـ أيمكنك أن تأتي إلى مكتبي يا آنسة سومرز؟

استدارت كاي وهي في منتصف الطريق للخروج وأضافت:

ـ ولا تنسي أيضاً أن ترتدي ثياباً مثيرة.

لم تستطع جوان إلا التحديق إلى زر الجهاز الذي كانت تضغط عليه، وأمسكت أنفاسها على أمل أن لا يكون الجهاز قد التقط كلمات صديقتها وأذاعه عند المدير. ثم تمتمت:

ـ سآتي حالاً يا مستر ليون.

وقطعت الاتصال ثم وضعت نظاراتها على عينيها والتقطت قلماً وورقة. وقبل أن تفتح الباب توقفت وأصلحت هندامها ثم دخلت.

أدار مديرها الكرسي الكبير المصنوع من الجلد الذي كان يجلس عليه وحدق إليها بتمعن وشمولية. وحزرت جوان ما الذي يدور في رأسه، مدركة كم هو مظهر النظارات وتسريحة الشعر خادع. لا شك أن براندت ليون يرتاب في قدرتها على الظهور بشكل مثير.

ثم اختفى بريق التكهن، ولم تستمر نظراته شخصية بل أصبحت مجرد نظرات عمل فقط، من رئيس إلى مرؤوسه. أخذ يراجع مواعيده لبعد الظهر ثم سلمها شريط تسجيل يحتوي على تعليماته للصباح وأعطاها لائحة بأرقام الهواتف التي يريد أن تطلبها له.

وهكذا أعيد توطيد العلاقة الرسمية، ولم يأتِ على ذكر أي أمر يمكنه أن يؤكد أو ينفي أنه سمع تعليق كاي. وكأن التقييم السريع لها عندما دخلت عليه لم يحدث أبداً.

ومع ذلك أزالت ملاحظته الصغيرة كل الشكوك الباقية، تلك الملاحظة التي أدلى بها عندما توقفت جوان في الساعة الخامسة عند مدخل مكتبه للتأكد من أنه لا يحتاج منها شيئاً قبل أن تغادر العمل لقضاء عطلة الأسبوع.

فقد استعلم براندت ليون قبل أن تغادر مكتبه:

ـ هل ستخرجين هذا المساء يا آنسة سومرز؟

فردّت جوان، وهي التي نادراً ما تخرج، موحيةً بأنها تخرج دائماً برفقة أصحابها:

ـ إنه مساء الجمعة.

ـ تمتعي بوقتك.

لم يُضمِّن كلامه سخرية أو تهكماً ولكنها ردت عليه وكأن شيئاً من ذلك حدث.

ـ إني أتمتع بأوقاتي دائماً سيِّد ليون، عمت مساءً.

كانت الريح الشمالية قارسة عندما خرجت جوان وانتظرت في الشارع مرور الأوتوبيس. وكان الثلج الذي سقط في نهاية تشرين الثاني قد ذاب وترك الأرض متجمدة وعارية في الأيام الأولى لشهر كانون الأول.

كانت عطل نهاية الأسبوع بالنسبة لها فترات راحة هادئة بصورة عامة، يتخللها قضاء الأمسيات مع صديقات أو الخروج أحياناً لحضور ليلة ساهرة. شعرت جوان بالضياع والكآبة وسط ازدحام السير في شيكاغو وكانت تعرف السبب.. إنه ملاحظة براندت ليون الأخيرة اللامبالية.

لقد عملت بعد أن تخرجت من معهد السكرتريا كطابعة في شركة تأمين كبيرة لفترة تسعة أشهر، ثم قرأت إعلاناً في صحيفة يطلبون فيه سكرتيرة خاصة. في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات ذهبت جوان إلى شركة ليون للمقاولات وقدمت طلبها. وهناك قابلت كاي مورلاند التي ذهبت تطلب وظيفة في قسم الكومبيوتر أعلن عنها في الصحف.

اتصلوا بها بعد يومين وطلبوا منها المجيء لإجراء مقابلة. كان براندت ليون في ذلك اليوم ينقب في خزانة الملفات إياها. لم يضع وقته في الرسميات بل أخبرها عن الملف الذي يبحث عنه وطلب منها العثور عليه. لم تتطلب منها معرفة طريقة الترتيب أكثر من دقائق معدودة وقدمت له الملف المطلوب.

كان براندت ليون يُجري مخابرة دولية مع شخص ما في ذلك الوقت. فتوقف عن الحديث ليشكرها ويطلب منها فنجان قهوة. وبعد أن فعلت ذلك، انتظرت بقلق في المكتب الخارجي، وقد استغربت أن

يكون مديرها المحتمل شاباً إذ بدا أنه في أول الثلاثينات من عمره، ولكنها شعرت بالارتياح إذ رأته يُنجز الأعمال بشكل رائع، مما جعل جوان تبتسم عندما تذكرت مسحة الغضب التي ظهرت على وجهه الصارم عندما لم تستطع العثور على الملف الذي يريده في الخزانة.

وعندما دخل المكتب لإجراء المقابلة، أقلقتها نظرة التقييم في عينيه الزرقاوين. تساءلت فيما إذا كان من النوع الذي يلاحق سكرتيرته حول المكتب طوال الوقت.

قال لها:

ـ كنت أبحث عن فتاة أكبر سناً وأكثر خبرة منك.

تذكرت جوان كيف تسارعت دقات قلبها عندما سمعت كلماته الهادئة والثابتة. كان صوته من النوع الذي يجبر الناس أن تنصت إليه وانتصبت جوان في جلستها بشكل لاإرادي. وردت عليه بكلّ هدوء واتّزان:

ـ أشعر أني كفؤة جداً لهذه الوظيفة.

فأومأ برأسه واستدار مبتعداً وهو يقول:

ـ حسناً، سنرى ما يمكنك القيام به.

كانت متأكدة أنه سيرفض توظيفها ولم يخطر لها أنَّ كلامه كان يعني قبولها في الوظيفة.

ـ هل تعني أني حصلت على العمل؟

فأجابها ليون براندت بنفاد صبر:

ـ لقد تقدمت بطلب لهذه الوظيفة، أليس كذلك؟

هزت رأسها موافقة:

ـ حسناً، لقد حصلت عليها، يمكنك البدء منذ الآن.

افترضت في البداية أنه اتخذ قراراً سريعاً بسبب حاجته لأن يوظف فوراً سكرتيرة بديلة لأن التي كانت مكانها أصيبت بحادث سيارة، لكنَّ جوان علمت تدريجاً من خلال ثرثرة الموظفين أنه استعلم تماماً عن

www.elromancia.com

خلفيتها قبل أن يطلبها للمقابلة. كانت تعتقد في سرها أن قدرتها على سبر غور نظام السجلات فوراً كانت المفتاح الذي أدى إلى حصولها على الوظيفة.

لقد توظفت كاي قبلها بيوم واحد، ولكونهما كانتا موظفتين جديدتين في شركة ليون تصادقتا على الرغم من اختلاف وظيفة الواحدة عن الأخرى، وبعد عدة أشهر انتقلتا للعيش معاً في شقة واحدة.

سلمت جوان في الأشهر الأولى من عملها الجديد بأنها أُعجبت جداً بمديرها. فهو رجل نادر، مُفعم بالحيوية لا يصدر منه أي إزعاج. وهو يعالج أي مشكلة أو عقبة تعترضه بهدوء، واسم عائلته مطابق لصفاته التي تضاهي صفات الأسد، فهو يشير فقط إلى قدرته وقوته ولا يستعملهما إلا عند الحاجة. ومما زاد في هذا الشبه، قسمات وجهه الصارمة التي لم تعطه وسامة فقط بل جعلته مرهوباً.

أملت في سرها منذ البداية أن يلتفت إليها كامرأة ولكنه لم يكن يهتم إلاّ بالعمل فقط. كانت مدركة بوعي شديد تأثير صباها عليه وحاولت جهدها أن لا تستغل ذلك. كانت خزانتها ملأى بالقمصان والتنانير عندما بدأت العمل فاستبدلت ذلك تدريجاً ببذلات عمل أنيقة ولكنها لا تلفت النظر.

كما توقفت عن ربط شعرها الذهبي العنبري الطويل بالمنديل خلف رقبتها وأصبحت تلفه لفّاً يجعل لونه غامقاً، وقد ساعدت حاجتها إلى وضع نظارات طبية في استكمالها هيئة السكرتيرة العملية المتزمتة. كانت حذرة في مخاطبته لأنها أدركت انجذابها إليه ولم تكن تريد أن يعرف ذلك.

كان معظم الموظفين ينادون رئيسهم بالاسم الأول فقط. ولكن جوان كانت تخاف أن يكتشف أحد إعجابها السري به إذا رفعت الكلفة بينهما.

إن المحافظة على حب بالسر يمكن أن يستمر لفترة ما ولكنّ عدم

تجاوب الطرف الآخر يجعل موت هذا الحب أمراً محتماً. ولقد عجل عدم اهتمام براندت ليون الكلي بها خارج نطاق العمل في المكتب بموت هذا الحب، وشكرت جوان الجانب العقلاني من شخصيتها الذي منعها من البوح بعواطفها الدفينة لأي شخص. وحتى لزميلتها في السكن التي كانت تعليقاتها الساخرة شديدة القرب من الحقيقة.

أما الآن، فلم تبقِ جوان من عواطفها تجاه مديرها إلا التقدير والاحترام. ومع ذلك فهي ما تزال حساسة جداً تجاه لامبالاته، فهي في قرارة نفسها ترغب بأن ينظر إليها كامرأة لا كسكرتيرة مخلصة عندها القدرة للتعامل مع نظام الملفات الذي كان يجده شديد التعقيد.

توقف الأوتوبيس عند الزاوية القريبة من شقتها، فشقت طريقها بين الركاب لتترجل من الباب الجانبي. ظلت الريح تلاحقها حتى المبنى الذي تقطن به وكانت برودتها تحاول أن تخترق الشال الملفوف حول عنقها. وعندما أصبحت في الداخل تجاوزت المصاعد وصعدت الدرج إلى الطابق الثاني حيث شقتها التي تسكنها مع كاي.

كانت الغرفتان مفروشتين بأغراض لم يكن أهل الفتاتين بحاجة إليها. إنها خليط عجيب من عدة أنواع من الكنبات. وهنالك موقد أبيض اللون وبراد بلون النحاس قد زادا تنافر مفروشات الشقة. أما المغسلة فتشغل زاوية مقابل الغرفة الأمامية وقد جُهّزت الغرفة الخلفية من شقتهما لتكون غرفة النوم وهي تحتوي على سريرين وقد أُلحق بها الحمّام. نزعت جوان عنها معطف الشتاء الثقيل ورمته في خزانة الثياب المليئة ثم خلعت سترتها وألقت بها على السرير ذي الأغطية الوردية اللون.

عادت متباطئة إلى المطبخ، وحاولت أن تستجمع حماسها للسهرة التي ستمضيها مع شقيق جون فيما كانت تحضر القهوة. وعلى الرغم من أنها كانت تعرف أنها تغلبت على مشاعرها نحو براندت ليون أدركت جوان أنها ستقارنه بأيد توماس فهي خلال السنوات الثلاث

الماضية لم تقابل رجلاً يضاهي براندت ليون.

لم تكن قد تعرّفت على الكثير من الرجال حتى تقارنهم به، فهي لم تكن أبداً امرأة اجتماعية حتى عندما كانت في المدرسة كانت بصورة عامة أطول من معظم الصبيان الذين كانوا في عمرها، واكتشفت عندما تخرجت من المدرسة أنه ليس سهلاً كما ظنت أن تتعرف إلى الرجال العزاب. لم تكن تشعر بالراحة للسهر مع بقية الفتيات للتعرف على رجل مناسب ولهذا السبب كانت تمضي معظم أمسياتها في البيت.

وكان معظم الرجال الذين يعملون معها في المكتب متزوجين، ولم تهتم لبقية زملائها العُزاب بالإضافة إلى أنها اكتشفت أن مركزها كسكرتيرة لبراندت ليون كان عقبة، فكان زملاؤها يلاحقونها أو يتجنبونها فقط لقربها من رئيس الشركة.

نظرت جوان مطولاً إلى الكتاب المفتوح الملقى على الطاولة بجانب الكنبة، وهي تعرف أنها لن تتجرأ على التقاطه وإكمال قراءته لأنها ستندمج كلياً بالقراءة وتنسى الإحساس بالوقت ولن تكون جاهزة عندما تعود كاي. تنهدت ثم ضحكت، وتردد صوت ضحكتها في أرجاء الغرفة.

وبخت نفسها بصوت عالٍ:

ـ كيف وصلت بي الأمور إلى درجة أن أجد في قراءة قصة متعة أكثر من حياتي العاطفية!

دخلت بتصميم غرفة الحمام وأدارت حنفية الماء لملء المغطس ثم أخذت من خزانة الثياب بدلة حريرية بلون القهوة ووضعتها على السرير. ارتدي ملابس مثيرة، هذا ما قالته كاي، وستبذل جوان أفضل ما عندها لتنفذ هذا الأمر.

بعد خروجها من الحمام جلست على الكنبة المخملية الزرقاء ووضعت فنجان القهوة على الطاولة بجانبها وأخذت تنزع الدبابيس التي تربط شعرها. وانسدل شعرها مثل الذهب السائل على كتفيها

تحت ضوء المصباح.

ذكر والدها مرة أن طول شعرها هو الشيء الوحيد غير العملي عندها، كانت تشعر دائماً بأنوثتها عندما يكون شعرها منسدلاً على كتفيها. كان يمكن لتسريحة شعر قصيرة أن تكون مريحة أكثر ولكنها لم تستطع أن تستجمع شجاعة كافية كي تقصه. فقط عندما يكون طويلاً، يمكن للون شعرها النحاسي أن يظهر على حقيقته.

عندما وصلت كاي مع جون وشقيقه سُرَّتْ لأنَّ جوان بدت بمظهر رائع ملفتٍ للأنظار. حتى أنّ جون أطال النظر إليها وهو الذي اعتاد رؤيتها بسراويل الجينز والقمصان.

أمسك أيد توماس يدها وعيناه تجيلان النظر في وجه جوان:

ـ كاي لم تخبريني أبداً أن صديقتك شقراء.

وجدت جوان أن أيد يشبه أخاه جون بشعره البني الخفيف وبنية عظامه ولكنه كان أطول منه بقليل. ومع ذلك كان وجه جون يعطي انطباعاً بالرقة والتفهم بينما كانت تعابير أخيه توحي بالغرور فانتابها شعور بعدم المبالاة، لكنها ما لبثت أن أنبت نفسها على لامبالاتها وقد لفت نظرها اللمعان الجميل في عينيه.

تعلمت منذ أن تعرفت على ريك مانفيل، وهو من نوع الرجل الذئب، أن تكون حذرة، فهذا النوع من الرجال يكون تعبيرهم الصريح عن الإعجاب وإطلاق الثناء والمديح وسيلة لتحطيم دفاعات المرأة. استطاعت جوان أن ترسم ابتسامة على وجهها وسحبت يدها من يده.

ـ هل تمتعت برحلة الطيران... يا أيد؟

تلعثمت قليلاً وهي تنطق اسمه وتناولت معطف الفرو الاصطناعي الأبيض الذي جلبته لها كاي.

بادر أيد بسرعة إلى مساعدتها بارتداء المعطف، وما إن أصبح على كتفيها حتى شد عليهما بلطف.

ـ لقد وصلت على الوقت، وهذا يكفي لتكون رحلة رائعة. لقد

طلبت من جون أن يحجز لنا في أفضل مطعم في هذه المنطقة، وربما يتسنى لنا أن نختفل بأمور أبعد من خطوبتهما.

تكلم جون بطريقة أوحت بالاقتراح لا بالطلب:

ـ من الأفضل لنا أن نذهب قبل أن نتأخر. سيلغي بيير الحجز إذا لم نصل على الوقت.

كان من الطبيعي أن يقود جون السيارة لأنه على معرفة بطرقات المنطقة وجلست كاي إلى جانبه في المقعد الأمامي فلم يبقَ لجوان إلا أن تجلس في المقعد الخلفي بمفردها مع أيد، وقد اكتشفت أنه لا حاجة لها للتكلّم لأنه كان مستعداً أن يتحمل عبء الحديث بمفرده. وجدت جوان أنه ليس مضجراً. لقد استطاع أن يجذب اهتمامها مثل ريك مانفيل، ولكن الخبرة الكافية التي اكتسبتها من ريك منعتها من الضعف في مواجهة اهتمام أيد الكامل بها.

استطاع أيد أن يشرك أخاه في أحاديث طويلة وهو الذي عرف عنه بصورة عامة قلة الكلام، كما استطاع أن يجعل كاي وجوان تضحكان عندما سرد قصصاً من طفولته وطفولة جون. انتقل الجميع بعد الانتهاء من الأكل في المطعم إلى قاعة المشرب حيث الجو أكثر حميمية والحديث أقل صخباً.

عندما انتصف الليل اقترح جون أن يتركا المكان. كانت جوان تبتسم برضى وهي غير قادرة على أن تتذكر متى تمتعت بسهرة مثل هذه. ولكنها كانت ما تزال غير واثقة إجمالاً برفيق سهرتها المغازل، ومع ذلك فقد شعرت بالغبطة لأنها كانت محور اهتمامه.

لم تلاحظ جوان المرأة والرجل اللذين كانا يرقصان على الحلبة إلا عندما وقفت لتغادر. لفت انتباهها أولاً الشقراء الناعمة في الثوب الوردي وكانت تمثل كل ما كانت جوان ترغب به من أناقة وأنوثة. ثم لاحظت الرجل الذي كان ممسكاً بها بين ذراعيه. كان براندت ليون، وخطوط فمه القاسية ترسم ابتسامة فشعرت بألم مفاجيء في معدتها.

كانت دائماً تعرف أن هنالك نساء أخريات في حياته. ومن المؤكد أن رجلاً مثل براندت ليون ستلتف حوله النساء. لقد تلقت، في بعض المناسبات، رسائل هاتفية تؤكد ذلك، ولكنها لم تشاهده بصحبة امرأة أبداً.

وشاهدت في هذه اللحظة المرأة وهي تضع رأسها على كتفه. أمّا هو فقد جال بنظره في الغرفة فيما كان يهمس في أذنها. حدق إلى جوان لجزء من الثانية، وانتظرت وهي منقطعة الأنفاس إيماءة تشير إلى أنه رآها قبل أن يحول انتباهه إلى المرأة الأخرى.

جفلت لأنها أدركت أن رئيسها لم ينتبه لوجودها وعضت على شفتيها بقسوة. ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة وهي تتساءل كيف ستكون ردة فعله لو تقدمت منه وعرّفت عن نفسها. هل سيبدل رأيه بسكرتيرته القديرة أو سيظل يشك بقدرتها على أن تكون جذابة؟

في هذه الأثناء أحاط أيد كتفها بذراعه وهو يحثها نحو باب الخروج. أخرجتها لمسته من عالم الخيال وأعادتها إلى الواقع.

لقد انتهى حبها لبراندت ليون منذ وقت طويل ويجب عليها أن تنهي هذه التوقعات الغبية. والحقيقة هي أنه حتى لو نظر إليها فجأة كامرأة فلن يكون باستطاعتها أن تنافس شبيهات هذه الشقراء التي بين ذراعيه.

إنَّ التفكير الدائم بشخص بعيد المنال هو مضيعة للوقت. لذلك أزاحت جوان جانباً الأحلام العاطفية واستبدلتها بالجانب العملي الأقوى في شخصيتها. تبينت أن أيد توماس رجل لطيف، وفي الواقع ألطف مما توقعت. لقد حان الوقت كي تكف عن مقارنة كل رجل تعرفه ببراندت ليون. فالرجال هم أفراد كل له شخصيته ويجب أن تبدأ بالنظر إليهم هكذا وتكف عن وضعهم ضمن خانات معينة.

الافتتان أمر يحدث للمراهقات، ولكنها أصبحت الآن أكبر سناً ومن المفترض أن تكون أكثر حكمة.

٢ ـ تناديه خائفة!

سخرت كاي من جوان لأنها أقسمت أنها لن تكرم أيد طوال فترة نهاية الأسبوع، لأنَّ الأمر انتهى بها في الواقع إلى مرافقته ليل الأحد إلى المطار لتوديعه. لقد اكتشفت أنها كانت تحتاج لرؤية براندت ليون مع امرأة أخرى كي تستطيع أن تقتل آخر ما تبقى من الافتتان به. وكان أيد على استعداد كامل ليملأ هذا الفراغ.

كانت جوان ما تزال تعتقد أن أيد رجل لعوب نوعاً ما، ولكنها أصيبت بالدهشة عندما أرسل لها أزهاراً في اليوم التالي، كما أنه طلبها على الهاتف يوم الأربعاء من مدينة كليفلاند، حتى أنه خطط للعودة إلى شيكاغو في نهاية الأسبوع الذي يسبق عطلة عيد الميلاد. كان من الواضح أنها أثرت به، وهذا الأمر جعلها تمتلئ ثقة بنفسها.

نظرت من خلال نافذة مكتبها إلى ندف الثلج التي ترقصها الريح الخفيفة. ظهر أن البياض سيغطي كل شيء في نهاية الأسبوع وأخذت جوان تضع في رأسها خططاً للعطلة في اليوم التالي. كانت ستذهب مع كاي لشراء ما تبقى من هدايا عيد الميلاد، وقد فكّرت أن تخص أيد بهدية صغيرة.

رن الجرس الموصل إلى مكتبها آمراً وسمعت صوت براندت ليون الأجش من المذياع.

ـ اجلبي لي يا آنسة سومرز لوائح أرقام مستشفى دانفيل التي تركها جنسن معك.

استجابت جوان فوراً، أغلقت الجهاز ونهضت عن مكتبها:

ـ حالاً يا سيدي.

ما كادت تصل إلى خزانة الملفات حتى رن جرس الجهاز مرة أخرى.

ـ اطلبي لي لايل باينز. يظهر أن هنالك خطأ في أرقام مناقصة المستشفى. أريد أن أراجعها معه قبل أن نقدمها.

اختفت لحظات التكاسل عندما وجدت جوان نفسها في أول ساعة من العمل تنتقل ما بين خزانة الملفات وغرفة براندت ليون. لقد اكتُشِفَ خطأ في حسابات مناقصة بناء المستشفى وأصبح من الضروري مراجعة كل رقم أكثر من مرة.

عند الظهيرة أطلت كاي برأسها من الباب وسألت جوان إذا كانت ستتناول طعام الغداء، فنظرت جوان نحو باب غرفة المدير المغلق وكشرت:

ـ أشك بأنهم يعلمون كم هو الوقت الآن، اجلبي لي معك سندويشاً.

ابتسمت كاي:

ـ أشك بأنهم نظروا إلى الخارج أيضاً، فهنالك بوادر عاصفة ثلجية قوية، من الأفضل أن تضعي عصفوراً على كتف المدير كي يخبره أنه يجب أن يسمح لنا بالذهاب إلى البيت باكراً.

لوحت كاي بيدها مودعة وأغلقت الباب وراءها.

نظرت جوان من خلال نافذتها ورأت أن تساقط الثلج الخفيف قد تحول إلى غيمة متواصلة من الثلج المدفوع برياح قوية. فالتقطت سماعة الهاتف واتصلت بمكتب الأحوال الجوية. أجابها المتحدث على الطرف الآخر أنهم يتوقعون عاصفة قوية وتساقط ثلج كثيف، وعلمت من مخابرة هاتفية أخرى أن بعض الشوارع الجانبية أصبحت غير سالكة وأنَّ السلطات المحلية نصحت بإغلاق المكاتب والمحلات

باكراً.

قرعت جوان على باب المكتب الخاص بالمدير مرة واحدة ودخلت. كان براندت ليون منكباً فوق مكتبه وقد ألقى بسترة بذلته البنية على كرسي جانبي. كانت أزرار قميصه الأبيض العليا مفتوحة، وكما القميص مرفوعين إلى الأعلى، كما كانت أصابع إحدى يديه تنتقل على مفاتيح الآلة الحاسبة فيما يده اليسرى تدون الأرقام الناتجة.

سألها دون أن يرفع رأسه الشبيه برأس الأسد:

ـ ما الذي تريدينه يا آنسة سومرز؟

ـ أظنّ أننا في خضم عاصفة ثلجية يا سيدي، وقد نصحت السلطات بإغلاق كل أماكن العمل غير الضرورية.

نظر لايل باينز الذي كان يجلس بجسمه الضخم إلى طاولة الرسم الهندسي إلى الخارج عندما سمع كلمات جوان. وهتف وهو يحدق إلى العاصفة الثلجية خارج النافذة «يا للهول» ثم تمالك الرجل المسن نفسه ونظر إلى براندت ليون قائلاً:

ـ إنها عاصفة ثلجية من الدرجة الأولى يا براندت. أرجو أن لا يكون ذلك إشارة إلى ما سيكونه فصل الشتاء هذا.

أدار براندت ليون كرسيه نحو النافذة ليتأكد بنفسه مما قاله، وظهر من تقطيب جبينه العريض أنه غاص في تفكير عميق.

أضافت جوان بهدوء:

ـ لقد أصبحت بعض الشوارع الجانبية غير سالكة.

فحك ذقنه وفمه بأصابع يده القوية فيما كان يستدير نحوها. كانت زرقة عينيه معززة بكثافة أهدابه البنية اللون وبقايا سمرة الصيف قد جذبت جوان مرة أخرى إلى القوة والكفاءة المرسومتين على قسمات وجهه المتنافرة.

أمرها قائلاً:

ـ ارسلي الجميع إلى بيوتهم.

ثم نقل اهتمامه نحو الرجل الجالس إلى طاولة الرسم:

ـ يجب أن ننتهي من هذا العمل خلال ساعة يا لايل.

ـ ليس هنالك من سبب يدفعني لاستعجال الذهاب إلى البيت. لقد ذهبت زوجتي عند ابنتنا في بيوريا. كنت سأذهب بالسيارة إلىّ هناك هذه الليلة، ولم يعد ذلك ممكناً الآن والفضل في ذلك للثلج.

ابتسم براندت متفهماً ثم رفع حاجباً وسأل جوان:

ـ أستعلمين الجميع؟

أومأت برأسها وتهيأت للذهاب: حالاً!

ولكنه ناداها وإمارات الندم مرتسمة على وجهه:

ـ آنسة سومرز، أظن أني سأطلب منك البقاء كي تعيدي طباعة أوراق المناقصة عندما ننتهي منها وكي تزوديني الآن ببعض الملفات التي تحويها خزانتك اللغز.

نظرت جوان إلى النافذة وهي تتساءل في نفسها إن كانت رحلات الأوتوبيس ستدوم في هذه العاصفة حتى ساعة خروجها من عملها، ولم يكن من الممكن رفض طلبه.

ـ بالطبع سأبقى.

سألها براندت وكأنه قرأ أفكارها:

ـ أنت تعودين إلى البيت بالأوتوبيس، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ لا تقلقي بالنسبة إلى العودة، فسوف أقلك إلى البيت بعد أن ننتهي.

قال ذلك وانكب على العمل مجدداً.

أومأت جوان برأسها وهي تعرف أنه ليس هناك في عرضه هذا غرض أبعد من المراعاة. شكرته وقد سرت لاستطاعتها التغلب على افتتانها السخيف به وتجاوزت الحالة التي كان يمكن فيها أن تبني آمالاً لا جدوى منها بمجرد التفكير أنه سيوصلها إلى بيتها.

www.elromancia.com

خلا المبنى بسرعة من الموظفين عندما انتشر الخبر بأن على الجميع المغادرة. وفي الساعة الواحدة والنصف أرسل براندت لايل باينز إلى منزله.. اقتربت الساعة من الثالثة عندما انتهت جوان من طباعة أوراق مناقصة البناء المصححة. كان يوقع على الأوراق فيما كانت جوان تغطي الآلة الكاتبة وترتب طاولة مكتبها، ثم وضع الأوراق في مغلف.

قالت جوان وهي تشاهد براندت ينظر من النافذة:

ـ لقد أصبحت العاصفة أسوأ، أليس كذلك؟

رمقها بطرف عينه وهي تعقد الشال حول رقبتها، وكان وجهه متجهماً بجدية ولكنه لم يرد على سؤالها. كان صمته صارخاً أكثر من أي رد كلامي، ومع ذلك طمأنتها حيويته الصارمة بصورة غامضة.

سارا برشاقة عبر الممرات التي تفصل مكتبه الخاص عن الباب الأمامي للمبنى. كادت قوة الرياح عندما خرجا تطرح جوان أرضاً، فلف ذراعه حول خصرها كي يسندها وقادها باتجاه موقف السيارات المجاور. جعل تساقط الثلج الرؤية سيئة وقد أدركت جوان بحسّها الغريزي فقط أنه يقودها نحو سيارته لكنّه انتفض فجأة وتوقف عن السير.

ـ هذا سخيف!

وفي لحظات أدارها وأخذها عائداً أدراجه إلى المبنى وقد أخذت أسنانه تصطك بسبب انخفاض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر. عندما أصبحا داخل المبنى، ومن دون إرادة منها تلاقت نظراتها بنظراته الحادة وهو يقول لها:

ـ من الأفضل أن نبقى هنا عوضاً عن أن نخاطر وتنقطع السيارة بنا. على الأقل لدينا هنا الطعام والتدفئة والنور.

استمرت عيناه عالقتين بعينيها للحظة إضافية قبل أن تقطعها جوان وقد أصيبت بالحيرة والخجل. أوضحت نشرة الأحوال الجوية أن

العاصفة ستستمر حتى يوم السبت وكان ذلك يعني أنها وبراندت سيظلان معاً للأربع والعشرين ساعة القادمة أو ربما أطول من ذلك.

جعلها المنطق السليم توافق فيما كانت تشغل أصابعها التي ارتجفت فجأة بحل عقدة الشال الملفوف حول عنقها:

ـ بالطبع أنت على حق. على الرغم من أنك تساءلت يوم تناولت وجبة مطعم الشركة إن كان ما تأكله حقاً طعاماً.

ابتسم بمكر:

ـ يظهر أن لا شيء يطيح بتوازنك يا آنسة سومرز، ولا حتى توقُّع أن تعلقي هنا طوال عطلة نهاية الأسبوع مع رئيسك.

رأت جوان كيف يتحول وجهه إلى الابتسام قبلاً، ولكنها نادراً ما كانت هي المتلقية. سرت الإثارة في عروقها مثل الزئبق ولكنها سرعان ما كبحت ذلك عندما تذكرت بأسى الشقراء الصغيرة. فهي لا تستطيع الادعاء لنفسها أنها تتطلع لتمضية عطلة الأسبوع حصرياً برفقته. إن الشعور الوحيد الذي تفضل أن تكنه له هو الاحترام والتقدير.

أدركت جوان أنها لم تعد متمالكة نفسها بما فيه الكفاية، فآلاف المخاوف بداخلها كانت تطرق على أعصابها. ثم هزّت كتفيها وقالت:

ـ لا أحد منا مسؤول عن هذه العاصفة، والتذمر من أشياء لا نستطيع تغييرها لا يجدي نفعاً.

فظهر نوع من السرور في عينيه:

ـ هذا يعفيني من الاعتذار عن عدم إرسالك إلى البيت باكراً.

ردت عليه بالطريقة ذاتها من المرح ولكنها ندمت فوراً لانزلاقها إلى ردود مثل الذي تبادلتها مع أيد الأسبوع الفائت:

ـ وهذا يعفيني تماماً من تذكيرك بأنك فعلت ذلك.

ابتعدت عنه بسرعة:

ـ أعذرني قليلاً كي أتصل بصديقتي قبل أن تبدأ بالقلق والتساؤل عن مكان وجودي.

شعرت جوان بنظراته تلاحقها وهي تهرول عبر الممر نحو مكتبها، وقالت في نفسها لمَ لا يكون متزوجاً وفي الخمسين من عمره، أو يكون أصلعاً وذا بطن منتفخ عوض أن يكون بهذا السحر المغناطيسي؟

أعادت تعليق معطفها ومشت نحو طاولتها وطلبت رقم هاتف شقتها. فردت كاي عليها بعد ثانية من الرنين، وسألتها بجزع:

ـ جوان، أين أنت؟

ـ ما أزال في المكتب.

ـ لقد اعتقدت أنك علقت في الثلج، ألن يقلك المدير إلى البيت؟

وبختها جوان:

ـ أفي هذه العاصفة؟ سوف ننتهي مطمورين تحت الثلج.

ـ هل تعنين. .

توقفت كاي عن الكلام وكأن أفكارها حبلت بالاحتمالات ثم أكملت:

ـ إنكما عالقان في المكتب؟ وبمفردكما؟

وضعت جوان يدها على جبينها:

ـ أوه يا كاي، هل تكفين عن جعل المسألة مأساوية؟

كانت جوان تعاني من تخيلاتها من دون أن تضيف تخيلات كاي عليها.

امتلأ صوت كاي بالضحك:

ـ أنتما الاثنين فقط عالقان هناك، أليس كذلك؟ وقد جمعتكما الأقدار وعوامل الطبيعة.

أمرتها جوان بسخط:

ـ هل تكفين عن ذلك؟ إن السيد ليون هو رئيسي!

ضحكت كاي بصوت مرتفع:

ـ أراهن أنك لن تناديه بالسيد ليون غداً صباحاً.

ـ لأجل السماء! إذا لاحظت الاهتمام الذي يغدقه عليّ السيد

ليون، أشك أنه يدرك حتى أنني من الجنس اللطيف. بالنسبة له أنا سكرتيرة إدارية كفؤة فرض عليه القدر صحبتي ليوم واحد، وهذا لن يجعله يكتشف فجأة أنني أنثى جذابة.

كانت انتفاضتها تذكيراً لنفسها أكثر منه هجوم على صديقتها.

ـ يجب أن أطبع بعض الرسائل الآن، وسأعود إلى البيت حالما تصبح الطرق سالكة.

أقفلت جوان الخط من دون أن تنتظر رداً، وقد انقبضت أساريرها بفعل التشنج. شاهدت بعينيها الناظرتين إلى الأسفل السروال البني الذي كان يقف أمام طاولتها فاجتاحت وجهها موجات من اللون الأحمر القاني وهي تنظر إلى وجه براندت ليون المتسلي، وأدركت أنه سمع كل ما قالته. تحركت عضلات وجهه وانفرجت عن ابتسامة.

ـ إنه لأمر مريح أن أكتشف أنك من البشر يا آنسة سومرز.

قال ذلك بهدوء وعاد إلى مكتبه فيما كانت جوان ما تزال تبحث عن جواب.

لم يكن بها حاجة لمعرفة الوقت، ولذلك تجاهلت النظر إلى ساعة يدها فيما كانت تقوم بطبع بعض الأوراق التي لم تنته منها خلال النهار. لم يكن لديها فكرة عما كان يفعله براندت داخل مكتبه الخاص، وهو على الأرجح كان ينهي مثلها الأعمال المتعلقة. كانت تعود بالتفكير تكراراً إلى الحديث المشؤوم الذي تبادلته مع كاي. أصبحت تشعر بعدم الراحة أكثر فأكثر من احتمال مواجهة براندت فيما على الأرجح ما تزال كلماتها ترن في أذنيه، فقد بدا أنها صرخة للحصول على اهتمامه وجعلها ذلك ترغب بالهروب والاختباء. لم تسمع جوان الباب الموصل بين مكتبيهما يفتح لأنها كانت تضع سماعة آلة التسجيل على أذنيها ومنهمكة بالطباعة. ولم يقطع شيء هذا الإيقاع إلا عندما أحست بيد تلامس كتفها. جعلتها المفاجأة تضغط أصابعها بقوة على مفاتيح الأحرف.

www.elromancia.com

أمال رأسه نحوها بفضول فيما كانت نظرته تتفحص النظرة الخائفة المرتدة التي ظهرت في عينيها وقد استدارت نحوه بحدة.

ـ لم أقصد أن أخيفك يا آنسة سومرز.

ـ لقد أجفلتني، هذا كل ما في الأمر.

ـ إني أشعر بالجوع وقد فكرت أنه ربما يمكنك أن ترشديني إلى أفضل ما يؤكل في المطعم. أتمنى أن تأكلي معي يا آنسة سومرز.

كانت الطريقة الملتوية التي نطق بها اسمها بمثابة تنبيه ساخر إلى أنه يدرك موقعهما كرئيس ومرؤوس، وخاصة بَعْدَ تصريحها الحاد.

أشاحت جوان بعينيها عن قسمات وجهه القاسية وتطلعت إلى ساعة يدها بعصبية. لقد أصبحت السابعة والنصف مساءً، ولم تستطع إلا أن تتمنى لو يمضي باقي الوقت بمثل هذه السرعة.

استعادت جوان ثبات صوتها ولهجتها الرسمية كي تؤكد على العلاقة الرسمية المهنية بينهما والتي أرادت في يوم ما أن تغيرها.

تراجع براندت قليلاً وانتظرها لتنتهي من ترتيب أوراقها وتنضم إليه، حاولت أن ترخي عضلاتها فيما كانت تتقدمه في الممر الذي يوصل إلى المطعم وقد أبقت رأسها منتصباً بصورة غير طبيعية وكأنها تريد إفهامه أنها لا تحتاج إلى اهتمامه. كانت ردودها مقتضبة عندما حاول تبادل أحاديث قصيرة عن وجبة السندويش المتواضعة التي كانا يتناولانها.

سرت جوان عندما لاذ أخيراً بالصمت. ولكن عندما رفعت نظرها إليه واكتشفت أنه يراقبها، زحفت إلى نظرها مسحة من الحذر فأشاحت نظرها عنه.

انطلق صوته الرنان كاسراً حاجز الصمت.

ـ أتعلمين أنها غلطتك؟

لم يكن ضرورياً أن تسأله عما يعني لأنها كانت تعرف ولكنها سألته بعد أن ظهر وكأنه قد تناسى سؤاله:

ـ وما هي؟

أجابها براندت وهو يسند ظهره إلى الكرسي بسهولة لا تستطيع هي القيام بها.

ـ بصراحة، أنت لا تحاولين أبداً أن تلفتي الانتباه إليك.

فلعبت أصابعها بإحدى رقائق البطاطا وأضاف اللون الأحمر الذي اعتلى وجنتيها بريقاً على وجهها:

ـ لم أقصد عدم الاحترام عندما كنت أتكلم على الهاتف. أنا في الحقيقة لا أتوقع أي معاملة خاصة لأني أقوم بعملي، أقصد أني أقبض راتباً مقابل هذا العمل.

ـ كم تبلغين من العمر؟

أجابته وبدا كأن اللقمة الأخيرة من الساندويش قد علقت في حلقها:

ـ ثلاثة وعشرين سنة.

ـ منذ متى وأنت تعملين عندي؟

ـ منذ ثلاث سنوات.

رفع حاجبيه مندهشاً:

ـ أكنت تعملين عندي كل هذه المدة؟ لقد تآلفت بصورة جيدة مع العمل.

ـ وهذا ما يفترض أن تكون عليه السكرتيرة الجيدة.

أجابها بلطافة:

ـ ليس من المستحبّ أن نقدر جهود الأشخاص بعد أن يتركوا العمل، وهذا ما يجعل استغلالك صعباً الآن.

ـ ماذا تقول؟

انطلق السؤال من فمها عفوياً وتلون وجهها بالاحمرار الشديد.

انقبضت أساريره وقال:

ـ كنت سأسألك أن تكتبي بعض الرسائل هذه الليلة، فليس هنالك

من أمر نفعله لتمضية هذه الساعات إلا العمل. وهذا الوقت مناسب لاستلحاق بعض المراسلات التي كنت أؤجلها مؤخراً.

ـ بالطبع سأفعل. وإذا لم يكن لدي ما أقوم به، فسأبحث وأجد شيئاً أفعله. كنت سأنجز نقل ما سجل على الأشرطة قبل أن نأكل.

استغلّت جوان هذا العرض لتضع حداً لحديثهما المزعج وأسرعت لرفع ما تبقّى من الطعام عن الطاولة.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة عندما توقف براندت في منتصف جملة كان يمليها عليها، فيما تابع قلم جوان تسارعه على الورقة حتى دونت آخر كلمة أملاها عليها.

علق براندت وهو يدير كرسيه كي ينظر إليها:

ـ لماذا لم تطلبي مني التوقف قبلاً؟

ردت عليه وهي تثني أصابعها المتشنجة وترخي قبضتها عن القلم:

ـ لم أجد ذلك ضرورياً.

ـ أعتقد أننا بسبب قوة الرياح التي تسمعها سيكون لدينا كل نهار الغد لننهي ما يجب إنجازه، يكفي ما قمنا به هذه الليلة.

حانت اللحظة التي كانت جوان تخشاها طوال هذه الفترة. فلم تكن بحاجة إلى من يذكرها أن المبنى بأكمله لا يحتوي إلا على كنبة واحدة موجودة في مكتب براندت ليون. كانت تعرف بصورة لا واعية أنه لطباعه الكريمة سيعرض عليها أن تنام على تلك الكنبة، ولكنها لم تستطع أن تقرر إن كانت ستُصرّ أن يستعملها هو أم لا. وقد أدركت أنها في كلتا الحالتين لن يغمض لها جفن.

سألها براندت:

ـ هل أصبحت جاهزة للمناقشة.

ـ أية مناقشة؟

جابهها بالرد:

ـ حول أي منا سينام على الكنبة الوحيدة الموجودة في المبنى.

أعرف أن كل منا يستطيع النوم على كرسي وهكذا نحل المشكلة، ولكن أمي لن تغفر لي أبداً إذا لم أصر على أن تستعملي الكنبة.

رفعت جوان يديها إشارة إلى اعتراضها:

ـ حقاً، أنا لا...

أخرس صوته الهادىء والنافذ بقية كلماتها:

ـ بلى، أنت تستطيعين وستفعلين. هذا أمر من مديرك، والسكرتيرة الجيدة تنفذ الأوامر.

أوحت كلماته بشيء من السخرية ولكن نبرة صوته كانت خالية من ذلك، فانتزعت جوان نظاراتها لأنها وجدت صعوبة في رؤية وجهه بوضوح في تلك المسافة بينهما. وتفحصت عينيه الزرقاوين لتعرف إن كان يتمتع بتضعضعها الذي جعل وجهها يتموج بمختلف الألوان.

أجبرتها نظراته المركزة على الإشاحة بنظرها من دون أن تستطيع الرد عليه.

انطلقت من شفتيها همسة الموافقة بتردد:

ـ إذا كنت تصر على ذلك يا سيد ليون.

ـ أنا أصر على ذلك يا آنسة سومرز.

أمسكت أصابعه القوية بذراعي الكرسي ليستند إليها وانتصب واقفاً ولوى كتفيه وكأنه هو أيضاً يشعر بالإجهاد من العمل في هذا اليوم الطويل، فأخذت تتفحص جسمه المتناسق وتَبيّنت أنّ طوله الفارع يخدع الناظر إلى صدره العريض إذ لا يبديه بارزاً على حقيقته.

كان براندت ليون يمضي ساعات قليلة داخل مكتبه خلال أشهر الصيف. وكان يمضي الساعات الطويلة خارج المكتب متنقلاً بين مشاريعه، ولم تخفف أشهر الشتاء الطويلة من السمرة التي اكتسبها خلال تلك الساعات التي أمضاها تحت أشعة الشمس.

كان وجهه مطبوعاً بالكبرياء والتسلّط ومؤثراً للغاية مثل قسوة النسر الثاقبة.

أدار رأسه نحوها وكأنه شعر بنظراتها ورفع أحد حاجبيه. شعرت بنبضها يتسارع بصورة غريبة بفعل وقع نظراته المزعجة، ولتغطية ارتباكها أخذت تقلب صفحات دفتر الاختزال.

ـ ماذا تفعلين يا آنسة سومرز؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وشعرت بالتشنج في حلقها:

ـ إني أراجع هذه الرسائل لأتذكر محتوياتها.

حرك يده في الهواء وكأنه يصرفها:

ـ دعي ذلك إلى الصباح، وإذا وجدت صعوبة في فك شيفرة الاختزال اطلبي مني الحل. ثم أنت تعلمين أنه لا يمكنك قراءة هذه المذكرات من دون أن تضعي نظاراتك الملقاة على حضنك.

انتفضت جوان وأغلقت الدفتر بحدة فيما كانت موجة من الحرارة تخضب وجهها. وبسبب حركتها الفجائية طار القلم من يديها عبر الغرفة واستقر عند قدميه. مشت نحوه لتسترجع القلم من يده الممدودة إليها وكأنها تلميذة في المدرسة. ولم تكن قادرة على النظر إلى عينيه اللتين أدركت أن الضحكة تملؤهما.

رن جرس الهاتف فيما كانت تتجه نحو الباب الموصل إلى الغرفة الأخرى. فقال لها وفي نبرة صوته سخرية واضحة:

ـ سأرد على الهاتف بنفسي يا آنسة سومرز.

لم يغلق الباب الموصل بين الغرفتين تماماً بعد أن خرجت جوان منه، فانساب إليها صوته بوضوح من الغرفة المجاورة لعدم وجود أي أصوات أخرى في المبنى.

تغيرت نبرة صوته بلطف وأصبحت أكثر حميمية بعد أن تبادل مع المتكلم تحيات حارّة:

ـ كان يجب أن أدرك أنني لن أستطيع الالتزام بموعدنا الليلة يا أنجيلا، وكنت أفضل أن أكون عالقاً في شقتك في عطلة الأسبوع هذه.

تراقصت صورة الشقراء الصغيرة في مخيلة جوان فوراً فأحست

بعضلات معدتها تتقلص. لاحظت في ضحكته الناعمة التي تلت توقفه عن الكلام شيئاً من الإغواء. فمشت برشاقة نحو الباب وأغلقته بإحكام قبل أن تستسلم لآلام الغيرة.

شغلت نفسها بتنظيف أطباق السجائر وإعادة ترتيب طاولتها مراراً حتى شاهدت ضوء جهاز الهاتف ينطفىء معلناً انتهاء المحادثة التي كان يقوم بها براندت. وبعد ثوانٍ فُتح الباب ودخل براندت ليون.

قال لها وهو يلوّح بيده ساخراً:

ـ إن مكتبي هو مكتبك يا آنسة سومرز. ولكن لا يوجد على الكنبة أية مخدّة، لذا يمكنك أن تستعملي معطفك عوضاً عنها.

هزّت رأسها بخجل علامة للموافقة. ثم دارت حول طاولتها نحو علاقة الثياب والتقطت معطفها الطويل المصنوع من الفرو الاصطناعي ولفته أمامها وكأنه درع على صدرها. وأدركت وهي تقوم بذلك أن حركتها هذه سخيفة لأن براندت ليون أوضح لها أن ليس هنالك من سبب لتحمي نفسها منه.

عندما وصلت إلى الباب المفتوح نظرت خلفها فتلاقت نظرات عينيها البنيتين مع نظراته للحظة ثم اتجه نحو طاولتها ليلقي قامته الطويلة على الكرسي المخصص للزائرين.

ـ ليلة سعيدة يا آنسة سومرز.

قال لها ذلك بجدية وكأنه يكبح أي جدال يمكن أن يتكون في عقلها حول من سينام على الكنبة.

ردت عليه جوان بصوت خاوٍ: ليلة سعيدة.

أغلقت الباب وراءها ومشت بتردد نحو الكنبة الجلدية الطويلة. أخذت نفساً عميقاً وطوت معطفها ووضعته على طرف الكنبة وخلعت حذاءها ثم خلعت سترتها الزيتية اللون وعلقتها على كرسي ثم انتزعت الدبابيس التي كانت تعقص ضفائر شعرها، وأخذت تتثاءب لكثرة الإجهاد.

أملت أن يكون هذا التثاؤب إشارة إلى أن النوم لن يجافيها، فأطفأت نور المصباح الجانبي وغرقت الغرفة في ظلام دامس ثم تحسست طريقها إلى الكنبة واستلقت عليها.

أطبق عليها الظلام وخلو المبنى من أي شخص ما عدا الرجل القابع في المكتب الخارجي. بدا أن صوت الرياح أصبح أكثر صخباً من قبل وقد كانت تصب ضراوتها على زجاج النافذة. سمعت الصرير العالي للكرسي الموجود في مكتبها وتكهنت بأن براندت يحاول أن يستقر عليه في وضع مريح.

مضت ساعة قبل أن يخف تنبهها ويزحف النوم ببطء عليها، ومع ذلك لم ترتح لأن كابوساً استولى على عقلها الباطن.

رأت نفسها وهي متعلقة بذراع أيد توماس تتوسل إليه أن لا يعيدها، كان هنالك أسد يزأر في خلفية المشهد، ولكن أيد أصرَّ على أن يأخذ الأسد حصته منها ثم دفعها باتجاه وحش الأدغال غير المرئي.

انقض عليها مخلب كبير من الظلام وأرجعها إلى الوراء عندما حاولت الهروب. أصاب حجم الأسد الكبير جوان بالخوف حتى أخذت ترتجف. وكان الأسد يتجاهلها ما دامت بين مخالبه ولكن ما إن تحاول التسلل هاربة حتى يظهر ويسحبها إلى الوراء.

ارتعشت جوان بقوة مخافة أن لا تستطيع أبداً الهروب من الأسد الذي يقبض عليها بمخالب باردة مثل الجليد. وبالرغم من أنها أقنعت نفسها بأن ذلك ليس أكثر من حلم، لم تستطع التخلص من ذلك الشعور الفظيع بالبرودة.. أخيراً فتحت عينيها وحاولت أن تخترق بنظراتها الظلام الدامس في الغرفة كي تركز نظرها على أي شيء يطمئنها على نهاية هذا الكابوس الرهيب البارد.

لمع الضوء الفوسفوري داخل ساعة يدها، ولكن تخدر مفاصلها لازمها.. فارتعشت ثانية ولفت ذراعيها بإحكام حول وسطها، وشعرت بالهواء البارد بعد أن أخذت نفساً عميقاً. لمست الكنبة على

سبيل التجربة ووجدت أن الجلد بارد كالصقيع.

لفت معطفها فوق كتفيها ونهضت. مشت متعثرة نحو الباب وكبست على زر النور، فلم تُضأ الغرفة لأنّ العاصفة التي كانت ما تزال على ضراوتها قطعت التيار الكهربائي.

فتحت الباب الموصل بين الغرفتين بسرعة وهمست برقة «سيد ليون» وحاولت أن تقيس المسافة بين الباب وطاولتها في عقلها. ثم نادته ثانية «سيد ليون» ولكن بصوت أكثر ارتفاعاً.

مدت يدها لتتفحص مسارها باتجاه طاولة المكتب والكرسي، فوجدته خالياً وأحست بحرارة خفيفة كانت قد بقيت به.

كادت تركض نحو الباب الموصل إلى الممر وهي تصرخ «سيد ليون!» واستمرت بوضع يدها على جدار الممر وهي تسير على أصابع قدميها في الظلام الدامس: «سيد ليون!»

ولم يرد عليها إلا صدى صوتها وصوت صرير الرياح الشمالية فتجرأت على المضي أكثر في الظلام وهي تحاول مقاومة الشعور الذي انتابها. لقد أصبحت لوحدها تماماً في هذا المبنى.

«سيد ليون!» زحفت نبرة الخوف إلى صرختها. تساءلت بجنون أين يمكن أن يكون؟ وصرخت ثانية وبصوت مرتفع جداً هذه المرة: «سيد ليون؟ براندت؟ أين أنت؟ براندت؟»

وبينما هي تصيح سمّرتها أشعة من الضوء إلى الجدار، وأعماها الضوء تماماً مثلما فعل الظلام.

جاءها صوت براندت ليون الهادىء:

ـ لا داع للذعر يا آنسة سومرز، أنا هنا أمامك.

تنفستْ جوان بتقطع ودافعت عن نفسها:

ـ لم أكن مذعورة. أنا.. لم أكن أعرف أين مكانك. لقد ناديت وناديت ولكنك لم ترد عليّ.

قال لها بصوت جاف فيما كان يبعد أشعة المصباح اليدوي عن

وجهها:

ـ إني متأكد أنك غير مذعورة. وأعتقد أن السير حافية القدمين في حرارة تبلغ الصفر هو ممارسة عادية.

انتبهت جوان فوراً إلى بلاط الغرفة البارد تحت قدميها اللتين ترتديان كلسات النايلون. شعرت بالحرج وزحفت الحرارة إلى خديها، وقالت:

ـ لم أستطع العثور على حذائي في الظلام.

ثم تساءلت إن كان قد سمع زلة لسانها عندما نادته باسمه الأول فجزمت أنه سمع:

ـ لماذا لم ترد على صراخي عندما ناديتك؟

أمسكت يده بمرفقها وحولها باتجاه المكاتب.

ـ لقد نزلت إلى القبو لأتحقق من انقطاع التيار، لا شك أن العاصفة قد قطعت أحد خطوط التوتر العالي.

أحكمت جوان لف معطفها حول عنقها وهي تحاول تجاهل دفء يده الممسكة بها:

ـ لماذا تعطل جهاز التدفئة؟ أقصد أنه يعمل على الغاز وليس الكهرباء.

أجابها عابساً:

ـ نعم، ولكن لسوء الحظ أجهزة التحكم بالحرارة والإشعال تعمل بالكهرباء وأخشى أن يزداد الانخفاض في درجة الحرارة، انتظري هنا دقيقة.

اختفى النور في اللحظة التي خرج بها وأغلق الباب وراءه. بقيت جوان بمفردها في الممر المظلم وهي ترتعش، وشعرت بتخدّر ساقيها من شدة البرد الذي أخذ يزحف من الأرض إلى قدميها، ثم عاد النور ثانية. كانت أسنانها قد بدأت تصطك عندما سألته:

ـ ما الذي كنت تفعله؟

أمسكت يده ثانيةً بمرفقها فيما كانا يقطعان الخطوات الأخيرة نحو المكتب:

ـ كنت أفتح حنفيات الماء حتى لا يتجمد داخل الأنابيب.

شعرت بدفء أرض المكتب المفروشة بالسجاد مقارنة ببرودة بلاط الممر المالس. لم يخفف قبضة يده عنها حتى أصبحا داخل مكتب براندت الخاص. سارت جوان إلى الكنبة من دون مساعدة، لأنّ الانعكاس الجانبي للمصباح اليدوي المسلط على السترة الجلدية الملقاة في الزاوية كان قد أضاءها.

سألته وهي تجلس على الصوفا الباردة وتلف ساقيها تحتها في محاولة لتدفئة قدميها:

ـ كم هو الوقت الآن؟

ـ الساعة الواحدة والنصف تقريباً.

فارتجفت وغمرت جسمها أكثر داخل معطفها.

ـ فقط؟ ستهبط الحرارة إلى ما تحت الصفر هنا قبل بزوغ الفجر بسبب تعطل التدفئة.

ساد الصمت العميق بعدما قالت ذلك، ثم سار براندت بتمهل نحو الكنبة وتوقف أمامها ونظر إلى وجهها بوقار.

قال بهدوء:

ـ نستطيع أن ندفئ أنفسنا.. معاً، إنه الحل المنطقي الوحيد أمامنا.

قفز قلب جوان بين ضلوعها وهي تحدق إلى تعابير عينيه غير المقروءة. حاولت جهدها أن تطرد مخاوفها وهي تفكر في كيفية قضاء الليلة بين ذراعيه، وأن تجعل ردة فعلها على اقتراحه طبيعية وعملية مثله. ولكنها كانت في هذه اللحظة لا تنظر إليه كصاحب عملها بل كرجل جذاب جداً.

عندما استطاعت أخيراً أن تجد الكلمات لترد عليه خرج صوتها

www.elromancia.com

ضعيفاً ومرتجفاً.

ـ باستطاعتنا استعمال معطفينا كغطاء.

ابتسم براندت، وكان رد فعل جوان سبب هذه الابتسامة:

ـ كنت أعرف أنني أستطيع الاعتماد عليك لتري الجانب العملي في اقتراحي.

مددت نفسها على الكنبة من دون وعي واحتضنت الوسادة الخلفية بكل طاقتها، فيما أطفأ براندت المصباح اليدوي. ثم بسط معطفه فوق ساقيها. حافظت جوان على جمودها بشدة فيما كان براندت يستلقي على طرف الصوفا. غطاه معطفها جزئياً فقط ولكن ذلك زال عندما أحست بدفئه وهو يلتصق بها.

وضع يده حول خصرها ليقربها أكثر.. وهذا جعلها تشعر تماماً بعضلاته كلها.

كانت أنفاسه الدافئة تداعب خدها وأدركت جوان أنه يستطيع أن يشعر بنبضات قلبها السريعة كما كانت هي تشعر بدقات قلبه المنتظمة.

همس لها برقة:

ـ إن قدميك باردتان مثل الثلج.

أبعدت جوان قدميها عنه، وقد أزعجها تعليقه الشخصي.

أحست بفمه يتحرك وهو يقول:

ـ اتركي قدميك حيث هما، فستدفآن بسرعة.

وبما أنه كان من المستحيل أن تجد متسعاً لقدميها بصورة لا تلمسه بهما، تركتهما جوان في وضعهما السابق وهي تتساءل إن كانت ستستطيع الاسترخاء كي تتمكن من النوم.

***

٣ ـ حب يخشى الضوء

خلال الليل تبدّلت مواقعهما، فاستيقظت جوان لتجد رأسها مستنداً على كتفه ووجهها مدفوناً في ياقة معطفها. كانت ذراعاها تحيطان بخصر براندت فيما كانت يداه ملتفّتين خلف ظهرها كي لا تقع عن الكنبة.

حاولت أن تتحرك لتصبح أقل التصاقاً به ولكن ذلك لم يؤدِّ إلا إلى زيادة ضغط ذراعيه. وعندما تحرك بجانبها حبست أنفاسها.

قال برقة وبصوت أجش ناعس:

ـ من يستطيع أن ينهض من فراشه الدافىء في مثل هذا الصباح البارد؟

وافقته جوان بأنفاس متقطعة:

ـ نعم، و... ولكن لا.. لا نستطيع البقاء هنا طوال النهار.

ـ لِمَ لا؟

وأحست بانتفاخ صدره وهو يأخذ نفساً عميقاً ثم أرخى قبضته عنها.

ـ أنت على حق. نحن لا نستطيع البقاء هنا طوال النهار.

حركت جوان نفسها إلى الوراء كي تفسح له متسعاً للنهوض فاخترق الهواء القارس الدفء الذي تولد بينهما. وفيما كان براندت ينهض من مضجعه قاومت جوان الرغبة في البقاء تحت معطفها الدافىء. لكن براندت أرجعها بدفعة من يده إلى الكنبة عندما بدأت

www.elromancia.com

بالنهوض.

ـ لا تنهضي. ابقي مكانك وحافظي على دفئك قدر استطاعتك.

عبست وردت عليه:

ـ ما الذي تريد أن تفعله.

قرصت برودة الغرفة وجهها وأنفها ولكن براندت بدا غير متأثر بها ووقف فوق رأسها مرتدياً سترته المجعدة تحيط به هالة من الحيوية لم يكن من السهل تجاهلها.

رد عليها بصوت آمر:

ـ على ما أذكر يوجد في عنبر المعدات مدفأة.

نظرت جوان نحو النافذة وشاهدت الصقيع الأبيض يغطي الزجاج وسمعت الرياح تزأر بغضب في الخارج. لقد توقف تساقط الثلوج في الليل، ولكنَّ هذه الرياح ما تزال تذري الثلج وتجعل مجال الرؤية شبه مستحيل.

سألته بقلق:

ـ وهل ستخرج؟

ابتسم لها متكاسلاً، مما جعلها تتنفس بصعوبة:

ـ سأسير بجانب السياج إلى العنبر، لن أضيع.

فكرت جوان بقلق: كلا إنه لن يضيع، فالأرجح أن يخرج براندت ليون منتصراً حتى في صراع مع عوامل الطبيعة. ولكنها نشأت في شمال البلاد وكانت تعرف مدى خطورة المجازفة بالخروج خلال عاصفة بهذه القوة، فلمعت أعماق عينيها البنفسجيتين من الخوف.

اختفت الابتسامة فوراً عن وجه براندت وعاد إليه ذلك التصميم القاسي وقال لها باقتضاب:

ـ لا تدعي الأوهام تأخذك بعيداً. سأحتاج إلى معطفي، وأنت ستكتفين بلف معطفك حولك حتى أعود.

ـ من.. من الأفضل أن تأخذ.. تأخذ هذا الشال.

تلعثمت جوان وهي تسحب يدها من تحت المعطف كي تزيح خصلات من شعرها كانت تغطي وجهها.

كان الشال الصوفي الرمادي بارزاً من جيب معطفها. أخذه براندت ثم مد يده ووضع اصبعاً تحت ذقنها ورفع وجهها.

ـ كفي عن القلق، سوف أعود قبل أن يتسنى لك أن تفتقديني.

لم تطمئن جوان لكلامه، ففي اللحظة التي أغلق فيها باب المكتب وراءه تملكها إحساس مخيف بالفقدان والهجر، فزادها هذا الشعور بالوحدة انكماشاً داخل معطفها. مرت الدقائق ببطء لا متناه وأخذت تصغي بتركيز لأدنى صوت يشير إلى عودته. راودتها نزوة بأن تنهض وتنتظره عند الباب الخلفي للمبنى ولكن طبيعتها منعتها من القيام بذلك. بدأت تشعر بالبرد يتسلل إلى جسمها وهي ستقع فريسة البرد القارس إذا ابتعدت عن الكنبة لأن قدميها كانتا عاريتين.

بعد مرور عشرين دقيقة سمعت جوان وقع خطواته في الممر الخارجي فأطبقت رموشها مع شعور بالفرح ولكنَّ عينيها اتسعتا عندما دخل المكتب رجل ثلج يسير على قدميه، أصبح سرواله كتلة من الثلج ولم يظهر من معطفه الصوفي إلا بقع صغيرة بنية اللون. وكان شعره البني الكثيف مغطى بندف الثلج، التي غطت حاجبيه وأهدابه أيضاً، ولكنَّ عينيه الزرقاوين لمعتا بابتسامة النصر فيما كان يضع المدفأة الصغيرة على الأرض.

تمتمت جوان دون صوت وقد وجدت أنها لا تستطيع الإفصاح عن شعورها بالفرح لعودته سالماً.

حجبت كتفاه العريضتان رؤية المدفأة فيما كان ينحني عليها، وأحست جوان في خلال دقائق ببداية انبعاث الحرارة. فبدأ الثلج يذوب عن ثيابه، وانهمرت نقاط الماء على السجادة.

عبّرت عن قلقها قائلة:

ـ سوف تصاب بالتهاب رئوي بسبب هذه الملابس المبتلة.

www.liferomancia.com

أجابها براندت وهو ينفض الثلج والماء عن معطفه:

ـ هذا كلام عجائز. الجراثيم هي التي تسبب الالتهاب الرئوي. ستكون هذه الملابس غير مريحة لبرهة قصيرة، ثم سرعان ما تجف.

سار براندت نحو الكنبة، والتقط حذاءها الملقى إلى جانبها على الأرض وأخذه نحو المدفأة. ثم قال لها:

ـ سيصبح حذاؤك دافئاً عندما تضطرين إلى انتعاله.

أرسلت مراعاته لها موجة من السرور في شرايينها لأن هذا المزيج من القوة المسيطرة والمراعاة الرقيقة نادر الوجود. وتبادر إلى ذهن جوان أنّ الرجل الواثق من نفسه كبراندت ليون، يستطيع أن يظهر مثل هذا اللطف من دون أن يخاف على مظاهر رجولته.

لاحقت نظراتها تحركاته عندما كان يستعمل شالها ليمسح الثلج عن شعره ويتخلص من ندف الثلج الذي لم يذب عن سرواله. وقبل أن تستطيع إخفاء تأملها الصامت به، حدّق إليها بعينين لامعتين.

ـ لن يستطيع هذا السخان تدفئة الغرفتين معاً. علينا أن نقرر أياً من الغرفتين سنستعمل.

ترددت في الجواب:

ـ لن أستطيع استعمال الآلة الطابعة لطبع الرسائل التي أمليتها لانقطاع الكهرباء، ولكني فكرت أن أعيد ترتيب خزانة الملفات وأخرج ما لا يلزم منها.

كانت فكرة الجلوس طول اليوم بحضور براندت ليون المهيمن من دون أي عمل مفزعة للغاية.

التقط براندت حذاءها وأعطاها إياه.

ـ لقد اتفقنا. سننقل السخان إلى مكتبك، سأذهب وأفتح النافذة.

فأجفلت قائلة: تفتح النافذة؟

حدّق إليها متفحصاً فيما كانت تنتعل حذاءها الدافىء:

ـ هذا السخان يحرق الأوكسجين. سنحتاج إلى القليل من التهوئة

إذا كنا لا نرغب بالاختناق.

ارتفعت الحرارة في مكتب جوان فلم تعد بحاجة إلى معطفها الثقيل الوزن كي تشعر بالدفء.

اختفى براندت ثانية في مهمة لم يفصح عنها بعد أن نقل طاولة الطباعة المتحركة إلى مكتبها، فوقفت للحظة إلى جانب السخان كي تدفىء أصابعها وتساءلت كيف كانت ستصمد لو علقت هنا بمفردها وليس هناك من تعتمد عليه؟

فتح باب الغرفة وأغلق بسرعة فرافق دخول براندت تيار من الهواء البارد. رمقت جوان الطبق الذي بين يديه بفضول.

ـ لا نستطيع الحصول على القهوة من دون التيار الكهربائي، ولكن سنتناول هذه اللفائف الحلوة والعصير بعد أن تذوب، لقد جلبتها من الكفتيريا.

عبست جوان واتجهت نحو طاولتها ثم عبثت بأحد الجوارير بحثاً عن مشط.

ـ ليتك لم تأتِ على ذكر القهوة، فأنا لا أستطيع أن أصحو أبداً قبل أن أتناول أول فنجان قهوة.

تساءل براندت وقد رفع حاجبيه بتهكم:

ـ أنت النموذج الفعال البارد الذي يتحكم بهذا المكتب تقولين ذلك؟

سقط المشط من يدها ولم تكن قد انتهت بعد من تسريحها لبعض خصلات شعرها الطويل المتشابكة. وخضّب الحياء والإحراج وجنتيها باللون الوردي، وأوضحت وهي تشعر أنها تلميذة مدرسة أكثر منها سكرتيرة كفؤة:

ـ أنا لا أتحكم بالمكتب.

ـ إنك تحمرين خجلاً بسهولة، أليس كذلك؟

فازداد اللون الأحمر على وجهها:

www.elromancia.com

ـ أعتقد أنّ ذلك سببه بشرتي البيضاء.

حافظت على تحويل رأسها عن نظراته المتفحصة فيما بدأت تلف شعرها في عقصة واحدة على مؤخرة عنقها.

أمرها بصوت أجش وقطع المسافة الفاصلة بينهما حين لم تكن تنظر إليه:

ـ أتركي شعرك منسدلاً.

سحبت أصابعه بعض خصلات شعرها من قبضتها فصدمها قربه المفاجيء منها بشكل منعها من الاعتراض.

ـ إن شعرك جذّاب جداً ولا يجوز إخفاؤه بهذه الطريقة الجافة، فهو يصبح مثل خيوط الذهب عندما ينسدل.

ردت عليه وكأنه يتهمها بأنها حصلت على هذا اللون من قارورة صباغ شعر.

ـ أنه لون شعري الطبيعي.

ضحك قليلاً:

ـ وهذا ما اعتقدته.

قاومت جوان صخب أحاسيسها:

ـ ترك شعري متدلياً ليس أمراً عملياً على الإطلاق، فهو يتدلّى دائماً أمام عينيّ.

فدسّ شعرها خلف أذنيها وابتعد قليلاً، ثم سألها وكأنه غير مقتنع بكلامها:

ـ كيف يمكنك أن تتأكدي من ذلك وأنت لا تتركينه أبداً منسدلاً؟

ردت عليه وهي تهز رأسها وتحرر بقية خصلات شعرها بيأس وترمي بالدبابيس فوق الطاولة:

ـ سوف ترى.

أدركت جوان أنها في اللحظة التي استسلمت فيها لإرادته القوية قد ارتكبت خطأً لا رجوع عنه. وجعلها الشعر المنسدل على كتفيها تشعر

بأنوثتها وبأنها معرضه للهجوم، وهي العواطف التي تحتاج إلى تفاديها كي لا تقع تماماً تحت تأثير قوة جاذبيته. لقد تصدع الحاجز غير المرئي الذي يفصل بين الموظف والمدير ليلة أمس عندما استلقت بين ذراعيه، وأصبحت بحاجة ماسة إلى استجماع دفاعاتها.

تجاهلت جوان براندت عن تعمد طيلة ساعات الصباح وتشاغلت عنه بترتيب الملفات الموضوعة فوق مكتبها. نجحت بتجنبه في الظاهر، ولكنها في داخلها كانت تقيّم كل تحركاته التي يقوم بها وهو منكبٌ على الخرائط الزرقاء المبسوطة على طاولة الرسم الهندسي.

قطع صوته الخفيض الصمت وجعل جوان تستدير نحوه بحدة:

ـ إنني جائع. ماذا لدينا على الغذاء؟

بدا أن الأعماق الزرقاء في عينيه تشدها إلى دوار من العواطف المتضاربة فهذا الانسجام الغريب الذي تابع انسيابه بينهما لم يَدَعْ جوان تتصرف على طبيعتها. دقت أجراس في رأسها تحذرها من أنها ستصبح أسيرة جاذبيته، ولكنها لم تستطع أن تفكر في طريقة لمنع حدوث هذا الأمر.

ردت عليه قائلة: لا أعرف!

ثم أدارت انتباهها إلى جوارير الملفات وهي مستسلمة لليأس من جراء عجزها.

ـ سأرى ماذا يوجد في الكافتيريا.

أدركت جوان لاحقاً وهي تقضم السندويش البارد أن هذا التلازم المستمر بينهما هو الذي يسلبها راحة البال، فلا يمكن المحافظة على جو العمل المتحفظ في هكذا ظروف. لقد لاحظت اهتمامه المثير بها ولم يغب عن بالها أنه ربما مجرّد فضول من براندت الذي يراها الآن في وضع مختلف عن تلك التي كانت تختفي خلف قناع الموظفة القادرة.

ولكن أليست تبالغ في تقدير اهتمامه الجديد؟ وما الضرر إذا تكونت صداقة بينهما؟ ما الذي يمكن أن تخشاه؟ إذا بدأ براندت ليون

www.elromancia.com

ينظر إليها كامرأة، فهذا لا يعني أنه سيغرق في جمالها خاصة وأن امرأة مثل أنجيلا تكمن في ذاكرته.

قطع صوت براندت خيط تخيلاتها:

ـ سأعطيك قرشاً ثمناً لأفكارك.

اعترضت جوان بخجل:

ـ أفكاري لا تستحق ذلك.

هزأ منها:

ـ إن أي أفكار تُسكت امرأة لمدة خمس عشرة دقيقة، يجب أن تستحق قرشاً على الأقل.

فرفعت وجهها ورمقت لون عينيه الأزرق الحي:

ـ إذا كان لا بد من معرفة أفكاري، فقد كنت أتساءل كم ستطول هذه العاصفة.

ـ هل بدأت تضجرين من رفقتي؟

ردت جوان بقسوة غير قادرة على محاكاة ثبات صوته:

ـ ليس بقدر ما بدأت أنت بالضجر مني.

هز كتفيه العريضين بوقار:

ـ على العكس تماماً، وفي الحقيقة أستغرب كيف استطاعت فتاة جذابة مثلك تجنب الزواج.

ـ لنقل إن الزواج هو الذي يتجنبني.

ابتسم ساخراً:

ـ إذاً أنت لست امرأة عملية، وهذا يعني أني سأضطر في يوم ما للبحث عن سكرتيرة أخرى مع أنني قد بدأت أعتاد عليك.

فأجابت جوان بنبرة حادّة:

ـ لكنني لم أقدم بعد استقالتي يا سيد ليون.

فقال وهو يبتسم ابتسامة خبيثة:

ـ كنت ليلة أمس «براندت» فقط. من المؤكد أنه يوجد شخص

مميز في حياتك، أليس هذا صحيحاً؟ أو هل تريدين أن أصدق أنك ترتدين الملابس المثيرة فقط لزيارة خالة عانس؟

خدش هذا الكلام كبرياءها، ولكنّها تمالكت نفسها وحبست دموعها التي كادت تنهمر فهي لا تستطيع أن تخبره عن عطلات الأسبوع الخالية ولا عن العدد الذي لا يحصى من الليالي التي أمضتها وحيدة. وعادت إليها ذكرى ما قالته في الأسبوع الفائت عندما أفصحت أن لا وقت لديها في عطل الأسبوع لأنها تخرج دائماً. يبدو أن الأكاذيب البيضاء من أي نوع كانت، تقود إلى مشاكل شديدة التعقيد.

ـ إنني لا أعرف إذا..

تمنّت جوان ألاّ تُغرق نفسها في بحر من الأكاذيب، كما تمنّت أن يسامحها أيد توماس الذي لجأت للاختباء تحت اسمه وقالت:

ـ... كنت أعتبر أيد شخصاً مميّزاً، فأنا معجبة به.

فأشار تمايل رأسه إلى اهتمام قليل:

ـ هل تعرفينه منذ مدة طويلة؟

كانت أصابعها تضغط بعصبية الجزء المتبقي من سندويشها.

ـ كلا، إنه شقيق خطيب صديقتي التي تشاركني السكن.

ـ هل صديقتك هي الآنسة مورلاند التي تعمل في قسم الكومبيوتر؟

أجابت جوان بصوت مرتعش:

ـ نعم، هذا صحيح، إنّها كاي مورلاند.

ـ هل ستحضرين أيد إلى حفلة عيد الميلاد؟

فاجأها سؤاله فردّت بارتباك:

ـ حسناً، إنه يقيم في مدينة كليفلاند في الواقع.

فعلق براندت:

ـ لا شك أن علاقتكما جدية ليتكلف عناء السفر ذهاباً وإياباً كي يراك.

فأضافت جوان وهي تنهض في محاولة لإنهاء الحديث:

www.elromancia.com

ـ ويرى شقيقه أيضاً.

أطلق الكرسي الدوّار صريراً مرتفعاً وكأنه يحتج على حركتها المفاجئة.

مشى براندت نحو الكرسي وهزه مراراً إلى الوراء والأمام:

ـ يحتاج هذا الكرسي إلى التزييت.

أجابته بحدة:

ـ قد يكون مظهري أشبه بالنساء الأمازونيات، ولكن هذا الكرسي ثقيل الوزن ولا أستطيع قلبه رأساً على عقب كي أعرف أين يحتاج إلى التزييت.

كادت أن تخترقها نظراته التي أوحت بقوة غضبه الكامن، فأمالت ذقنها متحدية فيما كانت تبتلع لعابها بصعوبة. كانت جوان تعي حجم جسمها الكبير منذ أيام المراهقة عندما أصبحت أكثر طولاً من جميع الصبيان في صفها.

ضاقت عيناه فيما كان يتفحصها:

ـ هل كنت حساسة دائماً بالنسبة لطول قامتك؟

أجابت جوان بعصبية:

ـ إنه أمر لا تستطيع تجاهله.

أمال براندت رأسه مستفهماً:

ـ لماذا تحلم الفتيات القصيرات القامة دائماً بأن يكن أكثر طولاً والفتيات الطويلات بأن يكن صغيرات الحجم؟

ـ إنها طبيعة البشر، فهم يرغبون بما لا يستطيعون الحصول عليه، ولكني تقبلت نفسي كما أنا.

ـ إذاً كفي عن التبريرات، فأنت شقراء طويلة القامة وجميلة.

بدا من خلال مديحه وكأنه يتهمها بالتواضع الكاذب فأرجعت جوان رأسها بعصبية وردت بقسوة:

ـ يا سيد ليون، لا يمكنك أن تتوقع مني أن أصدقك! فخلال

السنوات الثلاث التي عملت بها عندك لم ألفت انتباهك إلى أكثر من كوني سكرتيرتك.

كانت ركبة براندت عالقة في زاوية طاولتها فيما كان متكئاً عليها ويداه معقودتين فوق ساقه.

ـ لا تلومي غير نفسك، لقد رفعت حولك لافتات كُتب عليها بخط عريض: «لا تقدم على التحرش» ولم توحي لي يوماً تصرفاتك العملية الصارمة والمتزمتة بأنك تريدين أن يعاملك أحد كامرأة. بالإضافة إلى أني أتبع دائماً القاعدة التي تقول لا تمزج أبداً بين العمل واللهو، فأنا لا أريد أن تتشابك حياتي الخاصة مع عملي.

شعرت بالوخز الشديد في عامودها الفقري من جراء كلامه الواضح والدقيق. لم يعد هنالك شك عند جوان بأنه صادق بكلامه. إن براندت ليون يعتبرها امرأة جذابة، وفي الوقت ذاته أوضح أنه لن يريدها أبداً أكثر من سكرتيرة، ويجب أن تتقبل وتتفهم موقفه.

أشاحت بنظرها عن وجهه، وخالت أن فمها تحرّك ليقاوم خروج الكلام.

ـ إني أوافقك الرأي تماماً.

سمعت تنهيدة سخط ثقيلة أتت من الخلف وسمعت بجهد همسة ساخرة «أحقاً ما تقولين؟». أزاحت شعرها الطويل جانباً ورمقته بطرف عينيها وقد رسم عبوس الحيرة تجاعيد على جبينها. كان يدير ظهره لها فيما كان يميل الكرسي إلى الوراء ثم يقلبه رأساً على عقب.

سألها:

ـ هل لديك هنا زيت لكافة الاستعمالات؟

أجبر صوته اللامبالي جوان على الاستنتاج بأنّ سؤاله السابق كان خدعة من مخيلتها التي أصبحت أسيرة رجولته.

ـ في جارور الطاولة التي في الوسط.

بدأت جوان تصنف ملفات الخزانة فيما كان براندت يعمل على

www.elromancia.com

تزييت رفاصات الكرسي الدوار، ثم نقلت الملفات القديمة ووضعتها على كرسي جانبي. خصصت جزءاً واحداً من عقلها لإتمام هذه المهمة، أما باقي عقلها فكان سابحاً في أحلام وردية. ولا عجب، فبراندت يجدها امرأة جذابة. وهي التي انتظرت كلامه هذا منذ ثلاث سنوات.

جعلها انشغال بالها أقل دقة في عملها، فهي بالكاد لاحظت أن الجارور العلوي لم يغلق جيداً عندما دفعته إلى الداخل لتنظر إلى الجارور الذي تحته. وتقلص فمها عندما وجدت أن ملفاً قد وضع في غير مكانه. كان ملفاً أعطته لبراندت في أحد الأيام وقد وضعه بعد ذلك في غير موضعه، فنقلته إلى مكانه المناسب ثم مدت يدها إلى الجارور الثالث من الخزانة.

في اللحظة التي فكت بها أصابعها قفل الجارور وبدأت بسحبه أخذ الجارور العلوي غير المغلق جيداً بالانزلاق إلى الأمام فأصدرت الخزانة صوتاً أشبه بالحشرجة تحت ثقل الجوارير الثلاث المفتوحة. مدت يديها من دون فائدة لتحاول منع سقوطها، وقد نجحت لثانية فقط في الإبقاء عليها في منتصف الطريق.

ثم سندتها ذراعين قويتين وأرجعت الخزانة إلى مكانها وأغلقت الجوارير المفتوحة. شعرت بالصدمة عندما أدركت أنّ الخزانة كانت على وشك السقوط عليها وانبعثت في أطرافها المرتجفة موجة من الخوف كما شعرت بضعف غير معقول في ركبتيها اللتين لم تقويا على حملها، فأمسكت بكتفيها الذراعان القويتان اللتان أنقذتاها قبلاً.

بدا على وجه براندت الاهتمام الصادق وهو ينحني عليها:

ـ هل أنت على ما يرام يا جوان؟

فركت حاجبها بيد مرتجفة وأجابت بصوت غير ثابت:

ـ نعم، على ما أعتقد.

غطت الغشاوة عينيها وهي تنظر إلى أزرار قميصه فيما تمايلت

نحوه من غير وعي.

ـ لقد.. لقد حدث كل شيء بسرعة.

فأجابها وفي صوته الأجش نبرة من الغضب:

ـ لماذا حاولت وقفها عن السقوط؟ كان يجب أن تتركيها تقع وبعدئذ تقلقين بشأن ترتيب المكان بدلاً من أن تخاطري وتؤذي نفسك.

أجابت جوان وهي تكاد تختنق من التشنج:

ـ لم أفكر في ذلك.

كانت ضحكته الخافتة أشبه بتنهيدة إشفاق فيما كان يضمها إلى صدره لإعطائها الاطمئنان.

ـ أيتها الصغيرة البلهاء والسخيفة، لمَ لا تتوخين الحيطة والحذر؟ لقد عرفت دائماً أن هذا الوحش المعدني سينقلب ضدك في يوم من الأيام.

ابتسمت جوان بضعف وهي تضع وجهها على قميصه، وقد خفف من روعها مزاحه الخفيف. ولكن ما إن هدأ ارتعاشها بسبب الكارثة التي كادت أن تقع حتى ارتعشت ثانية لأنها أدركت أنه يعانقها.

أحست وهي من دون حراك بنبضات قلبه تحت يدها. وشعرت أن وجهه يتحرك خلال شعرها الذهبي والحريري.

حذرتها أنفاسها بأنها يجب أن تتحرر من هذا العناق مهما بدا ذلك بريئاً، ولكن الإحساس المنعش بالنعيم كان أمراً لم تعرفه من قبل.

ـ هل أنت متأكدة أنك لم تتأذي؟

هزّ صوته الهادىء والحنون أعماق قلبها فخطر لها أن تدّعي إصابة ما، ولكنها أفهمت نفسها بتعقل أنها غير مصابة. تصلبت يداها على صدره ودفعت نفسها بعيداً عنه، على الأقل قَدْر ما سمحت به يداه المحيطتان بها.

ابتسمت بعصبية وهي تحاول أن تطمئنه.

ـ أنا حقاً على ما يرام.

لم تكن تراه بوضوح عن قرب من دون نظاراتها ومع ذلك كانت هنالك هالة حوله جعلتها تفكر بأنه رجلٌ بكل معنى الكلمة ولديه خبرة في الحياة أكثر منها. رفّت رموشها حتى لا تكشف عيناها البنيتان المعبرتان عن الاتجاه الذي أخذته أفكارها.

نقل براندت يده اليسرى عن كتفها وأزاح خصلات شعرها الطويلة التي انسدلت على وجهها وقال لها متأملاً:

ـ يعجبني العطر الذي تضعينه، إنه يناسبك.

أجابت جوان بهمس وهي تشعر بالإحراج، لأنها احتارت كيف ستتعامل مع ملاحظاته الحميمة والعابرة:

ـ أنا... أنا لا أضع أي عطر.

ـ أحقاً ما تقولين؟

أحنى وجهه نحو جانب رقبتها:

ـ إذاً إنها رائحة شعرك النظيف.

ثم هز كتفيه وأفلتها.

وافقته الرأي وهي تشيح بنظرها بعيداً كي لا يرى الحيرة المؤلمة التي لمعت في عينيها، ثم أرجعت كامل شعرها الطويل إلى ما وراء رأسها.

ـ أنا.. أعتقد ذلك. لقد غسلته بالشامبو ليلة الخميس الفائت.

لو تفوه أيد أو أي رجل آخر تعرفه بهكذا ملاحظة لكانت جوان ضحكت منها ولكنها استاءت من براندت عندما تلفظ بها. تمنت لو كانت قد وضعت عطراً مثيراً، فقد كان يذكرها تعبير «رائحة النظافة» دائماً بطفل انتهى لتوه من الاستحمام، ولم تعجبها فكرة أنه اعتبرها طفلة.

عاد براندت بخطوات قوية إلى حيث طاولتها والكرسي المقلوب:

ـ من الآن وصاعداً، من الأفضل لك أن تفتحي جاروراً واحداً من هذا الوحش المعدني في كل مرة.

أرسل الغضب الذي شعرت به موجة من الحرارة إلى وجهها:

ـ لم أتعمد فعل ذلك قبلاً!

فاستدار نحوها ببطء وتفحصها بتمعن مريك:

ـ لم أقل ذلك أبداً يا جوان.

أضاف استعماله لاسمها الأول بصورة هادئة، وهو الذي كان يلفظه بسرعة في لحظة اهتمام، جنوناً على أعصابها الثائرة. وملأتها نبرته الموبخة قليلاً بعصبية أعيتها.

تلعثمت بسبب حرجها:

ـ أنا.. كنت أعني...

رد براندت عليها وكأنه يتسلى بها:

ـ إني أعرف تماماً ماذا تعنين، وأعرف متى تختلق المرأة حيلة لتجعلني أضمها بين ذراعي.

لم يكن هنالك إلاّ القليل لترد به على هذا الكلام من دون أن تورط نفسها أكثر، وشعرت وهي تستدير لتستأنف عملها أنها أصغر من عود ثقاب وأقل فائدة منه.

***

عثر براندت في زاوية صغيرة من خزانة الفناجين على علبة شمع وأضاء أربعة منها، فوقتهما هذه الشعلات من الظلام الدامس المحيط بهما في الغرفة. لم يكن النور المنبعث منها يكفي للقيام بأي عمل ولكنها ساعدتهما على تمييز وجبتهما المكونة من الساندويشات والرقائق، التي أصبحت طعاماً بلا نكهة.

جلس براندت خلف مكتبها ومال إلى الوراء على الكرسي الدوار الذي لم يعد يحدث صريراً، فيما كانت جوان تدخن السيجارة التي أعطاها إياها وتظهر عدم خبرة في التدخين. كانت أعصابها ما تزال

www.elromancia.com

مشدودة بسبب المواجهة التي حدثت بينهما بعد الظهر وقد قبلت منه السيجارة كي تشغل يديها المرتجفتين بشيء ما.

جالت نظراته على وجهها، ولم تفته الطريقة التي تجنبت بها التقاء نظراتهما.

ـ أخبريني عن عائلتك يا جوان، هل تقيم هنا في شيكاغو؟

كان يتكلم ليقطع الصمت الذي دل على عدم شعورها بالراحة. كان تبادل الحديث ضرورياً، على الأقل لإبعادها عن الشرود بأفكارها فربما تجعلها الإجابة عن أسئلته تصمد في مواجهة التأثير الذي يحدثه عليها.

ـ كلا! فوالداي يقيمان في قرية صغيرة تبعد ١٤٠ كم عن هنا. لدي أخ أكبر مني يخدم في الجيش في المانيا ولديّ أخ أصغر مني في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية. أمّا شقيقتي الصغرى، فهي في سنتها الدراسية الأولى وكلاهما يقيم مع أهلي في البيت.

ـ ماذا يعمل والدك؟

فابتسمت له بتردد:

ـ يملك هو وأمي دكان بقالة صغير. وجين وبوب، أختي وأخي، يساعدانهما بعد المدرسة وفي العطل الأسبوعية.

انحنى جوان إلى الأمام ليطفىء سيجارته وكانت نظراته مركزة على وجهها:

ـ يبدو لي أن حياتكم العائلية مستقرة ودافئة. أنت لا تبدين من النوع الذي يتوق إلى حياة الإثارة في المدن الكبرى، ما الذي أتى بك إلى شيكاغو؟

ـ كي أدخل معهد السكرتيريا، وبما أنني لم أجد عملاً في بلدتي بعد أن تخرجت من المعهد بقيت هنا.

فعلق على إجابتها:

ـ هنا ستشعرين بالوحدة من دون العائلة والأصدقاء.

قالت بصورة دفاعية وهي التي طالما ذاقت طعم الوحدة.

ـ لقد عقدت عدداً لا بأس به من الصداقات وأزور عائلتي مرة في الشهر.

مال براندت في جلسته إلى الوراء وعلت وجهه ابتسامة صفراء:

ـ أعتقد أني تعودت أن أكون بالقرب من والديّ. لقد قابلت أمي، أليس كذلك؟

أجابته: نعم قابلتها. وتذكرت تلك المرأة الطويلة الممتلئة، التي دخلت عليها المكتب ذات يوم. كانت نسخة نسائية عن ابنها. لم تكن جذّابة ولكنها مهيبة، وقد تصرفت معها بودّ وحرارة.

أكمل براندت كلامه وكأنه يتحدث إلى نفسه:

ـ والدي طبيب نصف متقاعد، ويعمل في الغالب كمستشار ولكنه لن يترك أبداً ممارسة الطب بصورة كاملة. إنه يحب عمله كثيراً.

ـ كنت أعتقد أن والدك هو الذي أنشأ شركة ليون للمقاولات.

ـ لقد أنشأها عمي الذي توفي منذ بضع سنوات. اشتغلت معه خلال العطل الصيفية عندما كنت يافعاً ثم دخلت الجامعة ودرست الهندسة والبناء وانضممت إلى الشركة بعد التخرج.

أثار براندت فضولها بصورة واضحة لمعرفة المزيد عن حياته الخاصة.

ـ هل عندك أخوة أو أخوات؟

ـ شقيقتي فنيتيا التي اختارت مهنة أبي وأصبحت طبيبة وعندها عيادة في ولاية أريزونا.

ـ ألم تتزوج؟

شعرت ببريق حزن دفين ينبعث من أعماق عينيه فيما كان يرمقها:

ـ كلا إنها مستوحدة مثلي. ألن تعلّقي على الوحدة التي تجلبها حياة العزوبية؟

تمتمت جوان:

www.elromancia.com

ـ لا أستطيع أن أرمي الحجارة وأنا أقيم في بيت من زجاج.

ـ ألا تريدين الزواج والاستقرار وإنشاء عائلة؟

تململت في جلستها وهي تشعر بعدم الارتياح:

ـ بلى، ولكن قراري ينتظر مجيء الرجل المناسب.

ـ ألم تلتقي به بعد؟ ماذا عن أيد الذي ذكرته سابقاً؟

أشارت حركة رأسها الجانبية إلى ترددها في الإجابة عن مثل هذه الأسئلة مما جعل براندت يبتسم وكأنه يرثي لحالها.

ـ لقد تدخلت في خصوصياتك أكثر من اللازم، أليس كذلك؟ فأنا نفسي لا أرغب بالإجابة على مثل هذا السؤال الخاص، أنت... أنت لا تبدين تماماً مثل امرأة واقعة في الحب، ولا تملكين ذلك الإشعاع الناعم الذي يرافق عادةً عوارض الحب.

حاولت أن تضحك لملاحظاته الماكرة:

ـ أنت تتكلم عن الحب وكأنه مرض.

ـ إنه كذلك في بعض الأوجه، كفقدان الشهية للأكل والتململ المتواصل ووجع الرأس السخيف وألم الشكوك.

قفزت إلى مخيلتها صورة الشقراء التي تدعى إنجيلا فوراً وأحست بالصداع السخيف الذي ذكره براندت.

ـ يبدو أنك تعرف ما هو الحب.

ابتسم ابتسامة باهتة ونهض ثم سار نحو النافذة الجانبية ونظر إلى الزجاج المغطى بالصقيع.

ـ معرفة سطحية فقط. يبدو أن الرياح قد خفت، ربما تنهي العاصفة غضبها هذه الليلة.

حدقت جوان بكتفيه العريضتين وخصره النحيل، وتساءلت كيف سيكون الحال عندما تنتهي العاصفة؟ هل سيعود وينادي بالآنسة سومرز؟ أم ستكون معرفتهما ببعضهما قد تطورت ووصلت إلى نقطة تجعل من المستحيل العودة إلى مستوى التعامل الرسمي المتحفظ؟

كانت تخشى أن يحدث ذلك، وفي الواقع كانت تخاف من عواطفها التي وصلت إلى درجة لن تستطيع من بعدها التحكم بها.

قالت وهي تتصنع السرور وتنظر إلى السخان الرابض في منتصف الغرفة:

ـ على الأقل سنمضي ليلة دافئة.

ـ كلا، ليس من هذا السخان.

أتت إجابته بالنفي هادئة ولم تكن متأكدة من أنها فهمت ما قاله، فسألت بصوت مرتعش: ماذا؟

مال إلى جانبه مما جعل ضوء الشموع ينير وجهه جزئياً ورفع حاجبيه فبدا لون عينيه أكثر زرقةً من المعتاد وأخذ يتفحص تعابير القلق على وجهها.

ـ لا نستطيع ترك السخان يعمل طوال الليل يا جوان.

اتسعت عيناها وقد أصابتها الحيرة:

ـ ولِمَ لا؟ أعني أن باستطاعتنا ترك النافذة مفتوحة للتهوئة.

استدار براندت ومشى نحو الضوء وتوقف إلى جانب الكرسي الذي تجلس عليه ورمق وجهها المنقبض:

ـ ليس هناك خطر من الاختناق ولكن ليس عندنا من الوقود ما يكفي لتشغيل السخان الليل بطوله ونحن لا نعرف متى يعود التيار الكهربائي.

نظرت جوان إلى يديها وقاومت كي لا تنقبض أصابعها في قبضة شديدة مثلما فعلت معدّتها.

بللت شفتيها الجافتين وقالت بعصبية:

ـ لم أكن أعرف.

جعلت تعابير وجهه الجوفاء من الصعب قراءة أفكاره:

ـ لأني لم أخبرك، لم يكن هناك من داع كي أجعلك تقلقين من دون ضرورة.

فتمتمت جوان:

ـ لم أكن لأقلق تماماً.

تابع براندت التحديق بها. كانت يداه المندستان في جيوب سرواله وسترة بدلته المفتوحة تعززان وسامته، ثم أخذ نفساً عميقاً واستدار مبتعداً وقال لها وهو يفتح باب المكتب الداخلي:

ـ سأجلب معاطفنا كي ندفئها أمام السخان قبل أن نخلد إلى النوم.

جعل تيار الهواء البارد المفاجىء جوان ترتعش قليلاً. لم يكن هناك ما يمكنها أن تعترض عليه وها هي الآن تشعر بعدم الأمان والضياع.

كان قلبها يدق بشدة مثل مطرقة بين ضلوعها عندما رجع براندت إلى الغرفة حاملاً معه المعطفين. تمنت بيأس لو كان باستطاعتها استعارة القليل من رباطة جأشه.

شعرت جوان بالحاجة إلى التكلم ولكن هذه الرغبة اختفت عندما نظر إليها براندت وابتسم ابتسامة كسولة دلت على أنه يتفهم مخاوفها التي تشبه مخاوف تلميذة مدرسة.

نهضت من مكانها وساعدته في بسط المعطفين على الكراسي بصورة تعرض داخلهما المبطن إلى الحرارة، ثم فركت يديها ووضعتهما فوق السخان وكأنهما يحتاجان إلى التدفئة.

قالت وعلى وجهها ابتسامة ضعيفة:

ـ لو اخترنا الجلوس داخل مكتبك في النهار لأصبح المكان أكثر دفئاً الآن.

ركز براندت نظره على كتفيها من الخلف، فشعرت جوان بذلك وكأن لها عينين خلف رأسها. ثم قال بصوت هادئ مطمئن:

ـ لو لم تكن الكنبة ثقيلة الوزن ومزعجة لكنت نقلتها إلى هذه الغرفة. سوف آخذ السخان إلى غرفة مكتبي كي يخفّف من صقيعها قبل أن ندخلها.

ازدادت دقات قلبها حتى ظنت أنَّ صداها يتردد في أرجاء الغرفة. لم تتسنَّ لها فرصة حقيقية الليلة الماضية كي تتمعن في مسألة النوم إلى جانب براندت فذلك لم يحدث عمداً. أما الآن فقد خافت أن تكشف عن شعورها العميق نحوه.

جفلت بصورة ظاهرة عندما تقدم براندت وأخذ المعطفين عن الكراسي. ولم يطلق أي ملاحظة عدا نظرة سريعة إليها وهو يطوي المعطفين، راقبته بعينين شبه مغمضتين وهو يحمل السخان ويأخذه إلى غرفة مكتبه.

أدركت جوان عندما لم يرجع بعد دقائق قليلة أنها لا تستطيع الانتظار أكثر. أطفأت كل الشموع ما عدا واحدة ثم حملت المعطفين على ذراعها والتقطت الشمعة الباقية المشتعلة.

قال لها براندت من دون أن ينظر إلى من دخل الغرفة:

ـ اتركي الباب مفتوحاً.

كان منحنياً فوق السخان وتكهنت جوان أنه يطفئه. وضعت الشمعة على طاولة إلى جانب الكنبة دون أن تسمح بانجذاب نظراتها إلى الجاذبية المغناطيسية لحضوره. كان البرد في الغرفة ما يزال قارساً على الرغم من الحرارة التي بثها السخان في أرجائها.

جاءها صوته من ناحية الباب المفتوح:

ـ سأذهب إلى مكتبك وأغلق النافذة هناك فيما أنت تتحضرين للنوم.

لم تجد جوان ممّا تعبر به غير كلمة «حسناً» لأنه بدا أن لا حاجة للإجابة على صرامة أقواله.

أخذت موقعها في مؤخرة الكنبة ومدت المعطف فوق رجليها، وحاولت أن تترك فسحة كافية لبراندت تحت المعطف وعندما رجع إلى المكتب، أصبح الجو في الغرفة وكأنه مليء بشحنة كهربائية.

أطفأت الشمعة وغرقت الغرفة في الظلام، فشعرت جوان للحظة

أنها عمياء تماماً. ثم شعرت بحركة مدروسة فيما كان براندت يضع ثقله فوق الصوفا، وانكمشت على نفسها لتفسح له متسعاً. عندما رجع لها تنفسها كان لاهثاً متقطعاً من قوة الألم الذي شعرت به بسبب قربها منه.

سألها بصوت أجش عميق وبقوة:

ـ هل أنت مرتاحة؟

أجابت جوان وهي تتنفس بصعوبة: أجل!

فقال لها بنبرة خفيفة مطمئنة:

ـ إن الليلة أكثر دفئاً من ليلة أمس.

أجابته: نعم إنها أكثر دفئاً.

ولكن الحرارة التي دبت في عنقها ووجنتيها كانت هي التي تجعلها غير مرتاحة.

وأخيراً قال براندت:

ـ تصبحين على خير يا جوان.

ـ تصبح على خير.. يا براندت.

ترددت قبل أن تلفظ اسمه الأول، ومع ذلك سيكون من السخف في هذه الظروف أن تناديه بالسيد ليون.

أغمضت عينيها وشعرت بالارتفاع والانخفاض الثابت لصدره، فأسكر أنفها مزيج من رائحة السجائر ولوسيون ما بعد الحلاقة ورائحته النفاذة. صلت كي تستطيع النوم ولتهرب من أحاسيسها. آلمتها عضلاتها من كثرة ما حاولت أن تبقي نفسها بعيداً عنه، أو على الأقل أن لا تستند إليه.

كانت ذراعه اليمنى مستقرة بخفة فوق خصرها، فراودتها أفكار وتساؤلات من دون استئذان، وشعرت برجفة تجري من أخمص قدميها حتى رأسها.

استعلم براندت منها بلطف:

ـ هل تشعرين بالبرد؟

تحرك رأسها بصورة آلية باتجاه الصوت، وقالت كاذبة لأنها لم تقدر على تفسير ارتعاشها بطريقة أخرى: أجل!

فقرب نفسه منها ليدفئها فكاد قلبها يتوقف ثم أخذ يدق بعنف شديد.

ـ هل تشعرين بتحسن؟

لم تستطع أن تتلفظ بكلمة «نعم» لأنها أحست بالاختناق وزادتها حيرة نبرته الهادئة المتحفظة: ما الأمر؟

فتحت عينيها وهي تحاول من دون جدوى أن تركز نظرها على الوجه القريب منها وأنكرت بصوت ضعيف مضطرب: لا شيء!

أرجعت رأسها إلى الوراء لتلصقه بزاوية الكنبة في محاولة منها للتحرر من قرب وجهه المزعج من وجهها، رفع يده اليسرى عن خصرها وأزاح خصلة الشعر العنبري المنسدلة على خدها وقال لها برقة:

ـ أنت ترتجفين.

همست فيما دموع الذل تحرق عينيها:

ـ لا، أبداً، إني بخير.

رد عليها بصرامة:

ـ أنا لا أصدق ذلك يا جوان.

أصرت بصوت مرتعش ومتقطع:

ـ أرجوك! دعنا ننام يا براندت.

ـ ليس قبل أن تخبريني ما الخطب.

سبب صوته الخفيض الثابت تقلصات الهستيريا في حلقها. كيف يمكنها أن تخبره أنها ترغب بعناقه؟

تنهدت بألم ولفظت اسمه بطريقة كشفت عن مكنونات نفسها: براندت.

ولم تستطع أن تشعر في الظلام إلاّ بحركة رأسه البطيئة وهو يقترب منها وارتعشت عندما عانقها.

حانت اللحظة كي تمنعه عندما ابتعد عنها قليلاً ولكنها لم تستطع، لقد قاومت جاذبيته كثيراً ولم تبقَ عندها قوة إرادة لتردعه عنها.

عانقها ثانية وانفجرت عواطفها الدفينة دفعة واحدة، فبادلته العناق ولم يعد يهمها إلا البقاء أسيرة ذراعيه. وفيما هي على هذه الحال امتلأت الغرفة بالنور. فكرت جوان للحظة أنها تخيلت هذا النور المفاجئ الذي أضيء فوق عينيها المغمضتين، ولكن ابتعاد براندت جعلها تفتح عينيها لتجد أن المصباح الكهربائي المعلق في السقف قد أضيء.

بقي في مكانه للحظة قصيرة ثم همس ببعض الشتائم ونهض من مكانه وابتعد عنها، فنظرت إليه وهو يجلس على طرف الكنبة. كان تنفسه متقطعاً وغير متوازن فيما كان يمشط شعره البني بيديه قبل أن يغطي وجهه بهما.

ـ إن مفعوله أشبه بمفعول ضوء النهار الساطع!

جعلت كلماته التي نطقها بمرارة جوان تفغر فمها من الاستياء. لم يشعر براندت بشيء إلا الندم على ما كاد يفعله. ولغباوتها اعتقدت أن اشتعال عواطفها كان أكثر من رغبة مؤقتة فقط.

انهمرت دموع الذل على خديها.

بدا أن صوته يأتي من أعماق سوداء لم تعرفها.

ـ أنا آسف يا جوان، لا شك أنك تظنين أني...

قطعت عليه الكلام بحدة وهي تدرك أنه لا يجب أن تقلل من قدرها أكثر من ذلك:

ـ أرجوك لا تعتذر. في الحقيقة ليس هناك ضرورة لذلك.

نهضت عن الصوفا مدفوعة برغبة هائلة للهرب قبل أن تغرق الدموع خديها ووجهها. وقبل أن تنهض تماماً وتقف على قدميها ثبتتها

ذراعا براندت على الصوفا وقبضت أصابعه بشدة على ذراعها.

كانت النيران الزرقاء تشتعل في عينيه وتكاد تلتهم وجهها المجفل وشفتيها المرتعشتين:

ـ لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن نناقش هذا الأمر وننتهي منه.

أشارت قسمات وجهه القاسية إلى أنه أمسك بإحكام بزمام غضبه وعواطفه. وحافظت جوان على مظهر الكبرياء والبرودة.

قالت له وهي تمتنع عن إظهار ألمها من جراء قبضته:

ـ ليس هنالك ما نناقشه.

أجابها بهدوء:

ـ أنت تعرفين جيداً أن هنالك ما يجب أن نناقشه!

ـ أرجوك!

لم تلفظ هذه الكلمة المهذبة تعبيراً عن التوسل فيما كانت تدفع يديه عن ذراعها.

ـ أنت تعطي أهمية أكثر من اللازم لما جرى.

ذكرها براندت بلهجة قاطعة:

ـ أنت تقصدين لما كان يمكن أن يحدث.

تلون خديها باللون الأحمر على الرغم منها لأنها كانت توافقه الرأي، وأشاحت بوجهها بسرعة.

وردت عليه بشدة:

ـ ولكن ذلك لم يحدث. كلانا إنسان طبيعي وبصحة جيدة وصدف أن كلاً منا ينتمي إلى الجنس الآخر.

حاورته بمنطق وهي تحاول أن تسترجع احترامها لنفسها:

ـ بكل بساطة، لقد دفعنا الظرف الغير طبيعي إلى القيام بأعمال لا نسمح لأنفسنا أن نفعلها في الظروف العادية.

ضاقت عيناه وسحب يده عنها:

ـ هل تؤمنين بما تقولين؟

www.elromancia.com

ـ بالطبع أنا أؤمن.

كان جوابها صحيح جزئياً، من ناحية براندت وليس من ناحيتها.

هز براندت رأسه عابساً وعيناه الزرقاوان تلمعان بالغضب ثم أشاح بنظره عنها ونهض:

ـ لم أقابل أبداً فتاة تحلل الأمور ببرودة أعصاب مثلك. أنت تفتحين وتغلقين عواطفك كما شئت، أليس كذلك؟

منعتها قوة أعصابها أن تتحول إلى كتلة منتحبة من الدموع وتحدته فيما كانت التدفئة المركزية تعود وترسل تيارات من الهواء الحار إلى الغرفة:

ـ ألست كذلك يا سيد ليون؟ لقد أعطيتني عملاً لأني قديرة وعملية ولا أصاب بالهلع في ظروف مفاجئة. هل أنت على وشك طردي للأسباب ذاتها التي دعتك لتوظيفي؟

تمنت لو أنه يفعل. وفي الواقع صلت من أجل ذلك، إذ أنه لن يتوجب عليها أن تقابله بعد اليوم وتتذكر دائماً لحظات عناقه لها.

ـ كلا يا آنسة سومرز، لن أطردك من العمل.

كان هناك تهكماً في التعبير الرسمي الذي ناداها به فيما كان يبتعد.

انتهت لحظات عدم الحراك واجتازت خطواته العريضة المسافة بينه وبين الباب الموصل بين الغرفتين.

أدركت جوان بغريزتها أنه ينهي الحديث ليسترجع مكانه السابق بالنوم على الكرسي الهزاز في مكتبها. دفعتها قوى الانتقام المريرة للتهجم مرة أخرى عليه، فطلبت منه وكأنها تأمره:

ـ هل من الممكن أن تطفىء النور قبل أن تخرج؟ أريد أن أخلد إلى النوم.

تصلب براندت وتوقف عند الباب قبل أن يمد يده إلى مفتاح الضوء ويديره، ثم فتح الباب ودخل مكتبها وأغلق الباب وراءه بعنف.

ساد الظلام في الغرفة فرغبت جوان أن تتكوم فوق جلد الصوفا

الأسود وتموت. عوضاً عن ذلك انكمشت داخل معطفها وسمحت لدموع البؤس والخجل وحرقة القلب بغسل وجهها. ولكن هذا لم يستطع أن يحررها من الألم الفظيع، إذ لا شيء يمكنه أن يفعل ذلك.

في الحقيقة، لا أحد منهما يلام. كلاهما ساهم فيما جرى ولو لأسباب مختلفة. ومع ذلك فقد تخطت جوان الحاجز الذي يفصل بين عمله وحياته الخاصة.

وهي لن تنسى أنها تحبه بغباء ومن دون هدف ومن دون جدوى... ببساطة إنها تحبه.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ لكل شيء ثمن

لم يكن لون الغيوم في الخارج، ذلك اللون الرمادي الذي ينذر بتساقط الثلوج بل كان لوناً رمادياً يميل إلى البياض، وكانت حدة الرياح قد خفت فأصبحت أشبه بنسيم عليل يتلاعب بطبقات الثلج الذي تكوم تلالاً بفعل الرياح الشمالية القاسية.

بهت لون شعر جوان الذهبي الطويل عندما عاودت عقصه بشكل كعكة خلف رأسها. وضعت نظاراتها فوق عينيها لا ليتحسّن نظرها، بل لتخفي احمرارهما الفاضح الذي سببته دموعها والهالات الزرقاء حولهما بسبب قلة النوم.

عاد إليها الكثير من شجاعتها عندما غسلت وجهها بماء فاتر وعلى الرغم من هذه الشجاعة لم تستطع النظر إلى وجه براندت بثبات عندما دخلت غرفة مكتبها قادمة من الممر الخارجي. ولحسن الحظ لم تضطر لذلك لأنه رمقها بنظرة خاطفة سريعة وباردة.

قال براندت بينما كان يرتدي سترته الثقيلة:

ـ تقوم الجرافات بإزالة الثلج من الشوارع كي تصبح سالكة. سأذهب وأزيل الثلج المتكوم على سيارتي كي نستطيع الذهاب.

كان على جوان أن تعلمه أنها فهمت ما يقول بكلمة «حسناً» وفيما اتجهت نحو طاولتها سار براندت نحو الباب الخارجي.

اختفى مزاحه ومراعاته لها بالرغم من عدم مرور أكثر من أربع وعشرين ساعة على صباح الأمس الذي قدّم لها فيه براندت طعام الفطور

بكل اهتمام وأقنعها أن تترك شعرها منسدلاً وملتفاً على كتفيها. أحست جوان بالرغبة في البكاء، ولكن الدموع لم تخفف من ألمها تماماً كما حدث ليلة البارحة. الغلطة غلطتها، كان يجب أن لا تسمح لجاذبيته بالتغلب على منطقها السليم. كانت تدرك ما تشعره نحوه وكان عليها أن تحترس أكثر في مواجهته، ولكن تصرفاته الودودة الدافئة أذابت كل تحفظاتها.

لقد قال براندت إنه لن يطردها من العمل، ولكن أليس من الأفضل لها أن تقدم استقالتها؟ وإذا فعلت فهل ذلك يوحي بأنه إقرار من جانبها أن ما حدث أثر فيها أكثر مما يظن؟

بدا أن الجواب على هذه الأسئلة متعلقٌ بمدى قدرتها على مواجهته يومياً خلال روتين العمل في المكتب من دون أن تجعله يكتشف مدى عمق عواطفها تجاهه. يمكنها أن تستقيل بعد بضعة أشهر إذا وجدت عملاً أفضل في شركة أخرى، فالعمل معه إلى الأبد سيكون نوعاً من الانتحار إذا عرف مدى حبّها له.

ضربت يداها الطاولة باستياء، فالمشكلة هي كيف ستجتاز هذه الأسابيع محافظةً على كبريائها.

أخيراً أقنعت جوان نفسها بأن توقف هذا الشعور المستمر بالذنب تجاه تصرفاتها. لم تكن تعرف متى سيعود براندت ولكن كان يجب أن تشغل عقلها في أمور أخرى غير التفكير به، فأزاحت الغطاء البلاستيكي عن الآلة الطابعة وبدأت تطبع الرسائل التي أملاها عليها في الليلة الأولى.

دخل براندت إلى المكتب وهي تكاد تنهي الرسالة الثالثة. فقال لها بصوت منخفض وهادئ:

ـ هل أنت جاهزة؟

توقفت أصابعها برهةً ثم أكملت الطباعة وردت عليه من دون أن ترفع رأسها عن دفتر الرسائل:

www.elromancia.com

ـ سأنتهي بعد دقيقة.

عندما انتهت من طباعة الرسالة ووضعتها مع نسخة الكربون في ملف الرسائل الجاهزة كان براندت قد أصبح إلى جانبها وبين يديه معطفها الذي جلبه من غرفة مكتبه. انفتحت جروحها ثانية وهي تجده مستعجلاً للتخلص منها، ولكن نظرة سريعة إلى وجهه القاسي لم تسفر عن رؤية تعابير عدم الصبر التي توقّعت أن تراها. وبينما كانت ترتدي المعطف وقف صامتاً واضعاً يديه في جيبي سترته وعينيه لا تعبران عن شيء.

أخذها من دون استعجال إلى سيارته المتوقفة أمام المبنى وكان المحرك شغالاً، وعندما جلست في السيارة أحست بأنها ستتجمد لشدّة البرد.

استدار براندت بسيارته نحو الشارع وسألها: أين تسكنين؟

فأعطته جوان العنوان وأسندت ظهرها إلى المقعد واستمرت بالنظر إلى الأمام بثبات. كان يمكن في ظروف أخرى أن تتمتع بهذه المناظر المكسوة بالثلج الأبيض والشوارع التي تحولت إلى ملعب شتوي ساحر. كان الثلج متكوماً على مساحات من الشارع وكان ما يزال هنالك مجازفة في قيادة السيارة على رغم عمل جرافات الثلج، ولكن اليدين النحيلتين اللتين كانتا وراء المقود قادتا السيارة قاطعة الثلاث كيلومترات إلى بيت جوان بكل خبرة ومن دون أي حادثة.

غطى الثلج الرصيف الممتد أمام المبنى القرميدي القديم. وأعطى عدم وجود آثار أقدام على الثلج انطباعاً بأن لا أحد غامر وخرج من بيته هذا الصباح. تمنت جوان في سرها وهي تفتح باب السيارة لو حذرها حدسها بارتداء حذاء الثلج يوم الجمعة الفائت، لأن الغوص في هذه التلال من الثلج سيكون أمراً مزعجاً.

خرج براندت من السيارة ووصل إليها قبل أن يطأ نعل حذائها الأنيق الثلج ويغوص فيه. نظرت إليه بدهشة لأنها توقعت منه أن ينزلها

بكل بساطة ويتركها تشق طريقها إلى بيتها، وفغرت فاها من الصدمة عندما مد ذراعيه ورفعها بينهما بسهولة.

ظهرت على جانبي فمه ابتسامة صفراء عندما قالت بردة فعل سريعة: أنزلني.

وفي هذه الأثناء قطع المسافة القصيرة بين حافة الرصيف ومدخل البناية بخطوات واسعة.

ـ لا حاجة بك كي تتركي قدميك تتجلدان في هذا الثلج.

اعترضت جوان ولكنهما كانا قد وصلا إلى باب البناية، فأنزلها براندت من بين يديه وفي الوقت ذاته دفع الباب الخشبي.

ـ إني ثقيلة الوزن.

تجولت نظراته عليها دون أن تظهر عليه أية مشاعر وأجابها:

ـ أنت طويلة القامة ولست من الوزن الثقيل.

رفض نبضها أن يعود إلى وتيرته الطبيعية، وهي التي لم تكد تعتقد أنها استعادت السيطرة على أحاسيسها حتى وجدت نفسها مستندة إلى ذلك الصدر الصلب، فضاعت ثانية. وقف أمامها بهدوء، وعيناه الزرقاوان لا تنمان عن شيء، وظهره إلى الدرج الذي يقود إلى شقتها الواقعة في الطابق الثاني. فأحنت رأسها لتخفي ملامح الحيرة التي انطبعت على وجهها.

قال لها:

ـ لست مضطرة للذهاب إلى المكتب صباح الغد.

فتصلبت جوانّ وشمخت برأسها وأجابته ببرودة:

ـ لن أقبل معاملة مميزة يا سيد ليون لأني ولظروف قاهرة احتجزت في المكتب طوال فترة نهاية الأسبوع. سوف أكون في المكتب كالمعتاد الساعة الثامنة.

فقطب حاجبيه وظهر عليه عدم الاهتمام:

ـ مثلما تريدين يا آنسة سومرز، يوم سعيد.

تذكرت جوان، بعد فوات الأوان، وفيما كان باب البناية الخارجي ينطبق خلفها، أنها لم تقل كلمة واحدة تشكره فيها على توصيلها إلى المنزل. فعلى الرغم من كل شيء إنَّ براندت يستحقّ نوعاً من التقدير والاعتبار.

ـ يا إلهي يكاد الصقيع يسيل من صوتك.

جاءها صوت كاي المنفعل والمندهش من أعلى الدرج.

ـ خاصة بعد الطريقة التي حملك بها إلى الباب أيضاً.

وجواباً على نظرات جوان المتسائلة بدهشة عن معنى كلام كاي المرتدية ثوباً منزلياً والواقفة على الدرج.

ـ كنت أراقبكما من النافذة، كان مسيطراً على الوضع تماماً.

أجابت جوان وقد تشنجت قليلاً:

ـ لقد فعل ذلك لأني لم أكن مرتدية حذاء الثلج ولأن الثلج لم يُزَل عن الأرصفة.

لم ينزع توضيح جوان الابتسامة الخبيثة عن فم كاي. وفيما كانت تقفز السلم بسرعة وتتجاوز صديقتها، كان سيل من الأسئلة على وشك أن ينطلق وكانت تحتاج إلى تحويل هذا الانتباه كي يتسنى لها أن تتمالك نفسها بعد أن شتتتها اللحظات التي حملتها فيها ذراعي براندت.

سألتها وهي تفتح الباب على مصراعيه وتدخل الشقّة:

ـ هل القهوة على النار يا كاي؟ لم أحظَ بفنجان واحد من أن انقطعت الكهرباء ليلة الجمعة.

رددت كاي خلفها وهي تندفع إلى المطبخ الملحق بغرفة الجلوس: «انقطع التيار الكهربائي!» وبينما كانت جوان تخلع معطفها وحذاءها قالت كاي:

ـ لم أكن أعرف أن التيار الكهربائي انقطع! لقد سمعت أن التيار انقطع في بعض المناطق في المدينة ولكني لم أتخيل أبداً أنك أمضيت

كل ذلك الوقت في المكتب من دون كهرباء. يا للسماء! لا شك أن الليالي كانت طويلة جداً!

استدارت كاي فيما كانت تصب القهوة لجوان، وقد اتسعت عيناها البنيتان ببريق خاطف وفتحت فمها مندهشة ومستغربة. ثم اندفعت نحو الكنبة وهي تحمل فنجان القهوة:

ـ كيف أدفأتما أنفسكما؟ فالسخان لا يعمل من دون التيار الكهربائي... هل اضطررت أنت والسيد ليون أن تتعانقا كي تدفئا أنفسكما؟ أوه لا شك أن ذلك كان أمراً رائعاً! ألهذا تصرفت ببرود نحوه؟ هل حاول التحرش بك؟

احمرت وجنتا جوان غضباً عنها:

ـ تمهلي قليلاً يا كاي! أولاً كلانا كان معه معطفه الشتوي الذي يقيه من البرد.

لم تنكر تماماً ما ظنته صديقتها ولم توضح أنهما تشاركا كلا المعطفين معاً.

ـ وثانياً.. عثر السيد ليون (وكادت أن تقول براندت) على مدفأة صغيرة في عنبر المعدات.

نظرت كاي باستخفاف وتنهدت:

ـ هذا سخيف، إنه ليس رومانسياً. كنت أعتقد أنكما على الأقل أصبحتما تخاطبان كل منكما الآخر بالاسم الأول بعد أن أمضيتما نهاية الأسبوع برمتها معاً.

شدت جوان أصابعها حول فنجان القهوة ثم وضعته على الطاولة أمامها.

ـ أشعر أن هذه الملابس قد التصقت بجسمي بعد أن بقيت بداخلها لثلاثة أيام تقريباً. سآخذ حماماً كي أستعيد حيويتي.

ثم نهضت بسرعة وهي لا ترغب بإعطاء سرها لصديقتها ولا تريد لهذا الاستجواب من كاي أن يستمر مدة أطول.

www.elromancia.com

أعاد صباح يوم الاثنين أجواء العمل الصارمة بين جوان وبراندت. لم يمزقها بنظراته الباردة المزعجة ولم يكن مزاجه معكراً بفعل الغضب، بل عاملها بلامبالاة ودية كشأنه في السابق، وهذا ما جعل من السهل على جوان العودة إلى وتيرة العمل السابقة.

كانت عاصفة نهاية الأسبوع محور الأحاديث التي دارت بين جميع من في الشركة، وكان كل واحد منهم يقص على الآخرين ما حدث له وأين وكيف حجزته العاصفة والصعوبات التي عانوا منها في الوصول إلى منازلهم. وشكرت جوان ربها لأن مكتبها معزول عن بقية الموظفين، الأمر الذي وفر عليها أن تقص حكايتها من دون كذب. وقد وافقت كاي بكل لطف على عدم إفشاء هذه الحكاية لأنها تعرف جيداً كيف ستتحول القصة من دون رحمة على ألسنة الموظفين إلى فضيحة.

كانت الساعة تقارب الظهيرة عندما خرج براندت من مكتبه إليها ليطلب بعض الملفات من الخزانة. وفيما كانت جوان تناوله هذه الملفات دخل لايل باينز مكتبها وابتسامة مرحة مرسومة على وجهه، وقال:

ـ أنا أعتذر لتأخري في القدوم يا براندت ولكن جرافات الثلج لم تصل إلى الشارع الذي أقيم فيه حتى العاشرة من هذا الصباح. لقد كانت عاصفة من الدرجة الأولى، أتمنى أن يكون كلاكما قد وصل إلى منزله بسلام.

هز براندت رأسه مبادراً بالتحية ثم فتح ملفاً وأخذ يتفحص محتوياته، ورفع رأسه لبرهة قصيرة بعد أن أنهى لايل باينز كلامه. وأجاب متكاسلاً وعيناه تلمعان بتركيز:

ـ في الحقيقة، لقد حجزتنا العاصفة أنا والآنسة سومرز هنا حتى صباح يوم الأحد.

ثم استدار ليعود إلى مكتبه.

شهق لايل باينز بشدة وقد أخذته الدهشة، وحول نظراته المتسائلة

فوراً إلى جوان.

ـ لا أصدق ما تقول!

كان ظاهراً على ملامح وجهها الاستياء من براندت الذي نطق بكل خفة بما كانت تجهد للاحتفاظ به سراً، ولم تشك أن ذلك سينتشر بسرعة في كل الشركة.

توقف براندت قليلاً على عتبة الباب:

ـ تعال إلى مكتبي يا لايل، لقد توفر لي الوقت خلال عطلة الأسبوع لدراسة خرائط مركز بارك وود التسويقي وأريد أن أراجعها معك قبل أن تبدأ بوضع الأسعار.

عادت جوان بسرعة إلى مقعدها وهي تتجنب نظرات لايل باينز المتسائلة، فيما كان يطيع ببطء صوت رئيسه الهادىء والمهيمن، ولم تستطع أن تسترخي حتى أغلق باب مكتبه خلفهما.

لم تتعرض جوان إلى نتائج زلة لسان براندت حتى صباح اليوم التالي. فقد ساد الصمت فوراً وتحولت العيون نحوها عندما دخلت مع كاي الكافتيريا وقت الغداء، ثم سمعت تبادل الهمسات والضحكات الخافتة. استطاعت جوان أن تحافظ على تماسكها بصعوبة لأنها كانت تعرف أن أي ردة فعل منها ستزيد الطين بلة وتعزز تكهنات زملائها.

كان من الطبيعي أن تدافع كاي عن صديقتها بملء الفم عندما وصلت الإشاعات إلى مسامعها. تأكدت جوان أن براندت لم يسمع أبداً ما يقال عنهما، فلا أحد يجرؤ أن يحمل هذه القصص إلى عرين الأسد، وهذا يشملها أيضاً لأنها أرادت أن تتجنب أي إهانات أخرى تصدر عنه.

توقفت الثرثرة خلال الأسبوع لعدم وجود ما يدعمها ويعززها. وسرت جوان لأنها احتفظت بالصمت والبرود خلال ذلك فموقفها عالج التعليقات اللاذعة بلا مبالاة.

وعندما تجرأ بعضهم على سؤالها مباشرة عن كيفية تمضيتهما ذلك الوقت، أجابتهم بأنهما عملا، وكان ذلك صحيحاً. وزاد من صدقية

www.elromancia.com

كلامها التصرف المهني والفعال الذي تميزت به.

هنأت جوان نفسها، ظهر يوم الجمعة، على أن الأسبوع مر على خير. مع أنه لم يكن سهلاً عليها، لأنها كانت تشعر بالتمزق في بعض الأوقات.

كان يحدث في بعض المرات أن تلامس يد براندت يدها بالصدفة عندما يتبادلان الملفات والوثائق وتشعر بموجة من الدفء تجتاحها بفعل ذلك. وفي بعض الأوقات حينما كان يقوم بالتوقيع على الرسائل التي طبعتها، يصبح في إمكانها التمعن في شعره البني الكثيف وأطرافه المتجعدة خلف عنقه والوجه القوي القسمات، مما أيقظ فيها مشاعر الحب والعاطفة.

همت جوان بعد أن تجاوز الوقت الرابعة بعد الظهر يوم الجمعة بترتيب الملفات والأوراق المنتشرة على مكتبها استعداداً لعطلة نهاية الأسبوع. كان ترتيب الأوراق والمراسلات الصادرة مهمة استنفذت معظم الوقت وقد ابتسمت عندما مرّ موظف من قسم المحاسبة وأعطاها شيكاً براتبها الأسبوعي.

وفتحت جوان المغلف الذي يحوي شيكها وأخذته لتضعه داخل حقيبة يدها. بدا وكأنَّ المبلغ المكتوب على الشيك يقفز أمام عينيها فتصلبت منذهلة. لقد كان المبلغ المكتوب ضعفي ما يجب أن يكون عليه.

لم تستطع جوان إلا التحديق به وقد اعترتها الحيرة، ثم أخذ الغضب يتملكها ببطء. لم يكن عندها أي شك في أن براندت هو الذي أمر بذلك كي يريح ضميره، فقد دفع لها أكثر كي يحرر نفسه من الشعور بالذنب.

ارتجفت أصابعها الممسكة بالشيك بفعل الغضب، فنهضت عن مقعدها بخفة ومشت نحو الباب الموصل إلى مكتب براندت. رد على طرقتها القوية على الباب فوراً «ادخلي». وجه نظره إليها كي يعرف من

الطارق ثم التفت نحو الأوراق الملقاة أمامه.

ـ ما الذي تريدين يا آنسة سومرز؟

كان الغضب يتملكها بحيث لم تستطع الكلام، ولم تساعد نبرة صوته اللامبالية على تهدئة غضبها المتصاعد، وهي تقترب من طاولته وتضع أمامه الشيك. نظر إلى الشيك ثم دفعه إليها باستخفاف ومن دون أن ينظر إليها.

قال لها وكأنها جلبت له الشيك ليتأكد منه:

ـ هذا الشيك لك.

وردت جوان بعصبية:

ـ أعلم أن الشيك صدر باسمي ولكن المبلغ غير مطابق. أريدك أن تتصل بدائرة المحاسبة وتطلب منهم أن يكتبوا لي شيكاً آخراً براتبي المعتاد.

جعله الغضب الذي بدا من نبرة صوتها يرفع رأسه، وتمعن بوجهها متفحصاً من دون انفعال ورأى الشرر المتطاير من عينيها البنيتين. فضاقت عيناه وتقلصت أساريره:

ـ هذا هو المبلغ الصحيح. لقد عملت ساعات إضافية في عطلة الأسبوع الماضي ولو كان ذلك تطوعاً منك.

ارتجف صوتها من شدة غيظها وردت:

ـ لا أنوي أن أقبل أي مبلغ مقابل عملي في عطلة الأسبوع الفائت، مهما كانت الحجة التي ستأتي بها يا سيد ليون!

انتصب براندت عن مقعده وأجابها بنفس الحدة بينما بقيت عيناه باردتين كالصقيع:

ـ أنا لن آتي بأي حجة. لقد عملت ساعات طويلة ليلة الجمعة والسبت وأنجزت أعمالاً للشركة. لو لم تعملي أي شيء لما دفعت لك أي مبلغ إضافي، وهذا المبلغ هو تعويض عن العمل الذي قمت به.

لو لم يكن كبرياء جوان قد هيمن عليها لقبلت حجته، ولكنها لم

تستطع قبولها في حالتها الحاضرة:

ـ أنا لا أصدق ما تقول، ولن أقبل منك مالاً لأنك ندمت...

ـ هذا يكفي!

أوقف هذا الأمر ثورة غضبها بسرعة وهدوء قاطع، وأشار انقباض أساريره إلى إمكانية تطور غضبه إلى حدود لا تحمد عقباها.

ـ إذا كنت لا ترغبين في قبول حجتي فهذا شأنك، ولكن المبلغ المسطر على الشيك هو لك وما تفعلين به هو أمر يخصك وحدك.

ردت عليه وقد هزها الغضب:

ـ سوف أريك ما أفعل به.

التقطت الشيك عن الطاولة بسرعة وخفة ثم مزقته قطعاً صغيرة، واستدارت بقوة لتخرج من الباب والدموع منهمرة من عينيها.

كانت على وشك الوصول إلى الباب عندما أمسكتها ذراع قوية وأدارتها.

حاولت جوان أن تقاوم لتخلص نفسها من القبضة الحديدية التي أمسكت برسغها ولكن من دون جدوى.

صرخ بها براندت معنفاً:

ـ جوان! بي رغبة أن أجعلك تعيدي جمع قطع الشيك وتلصقيها بالشريط اللاصق!

أرجعت رأسها إلى الوراء فرأت في عينيه استعداداً للمعركة، وبسبب قربه منها تضاربت مشاعرها، فأمسكت أنفاسها وقد روّعها طول قامته. وكان الاستياء والغضب قد ظهرا على تقاسيم وجهه بوضوح.

تنفست بعصبية وردت بكبرياء:

ـ لن ينفعك ذلك، لأني بكل بساطة سأمزق الشيك ثانية.

راقب براندت الاحمرار الذي صبغ وجنتيها بسرعة.

ـ تعتقدين أن المبلغ الإضافي هو نوع من التقدير لما حدث بيننا

ليلة السبت، لقد وجدتك جذابة وتصرفت على هذا النحو.

لم تستطع جوان النظر إلى عينيه وردت عليه بصوت مخنوق:

ـ إذاً لا تجعلني أشعر بأني رخيصة ولا تصرف لي مبلغاً إضافياً.

رد براندت بقوة:

ـ لقد أخبرتك. هذا المبلغ هو تعويض للخدمات الإدارية التي قمت بها بعد دوام العمل الرسمي، وأنا لست معتاداً على الدفع مقابل ملذاتي.

زمت شفتيها بقوة في محاولة لإخفاء شعورها بالخزي. اختفى الاحمرار من خديها وشحب وجهها بصورة غير طبيعية.

تنهد براندت:

ـ لم يكن يجدر بي أن أقول ذلك. أرجو أن تقبلي اعتذاري جوان.

هزت يدها بضعف كي تبعد عنها هذه الملاحظات اللاذعة:

ـ أرجوك اتصل بدائرة المحاسبة واطلب منهم تسطير شيك جديد براتبي المعتاد.

وهنت قبضته الممسكة برسغها وأصبحت أقل قسوة ولكن براندت لم يفلتها. عوضاً عن ذلك عاد إلى جانب طاولته وهو يكاد أن يجرها خلفه.

وقف إلى جانب الكرسي الموجود أمام طاولته وطلب من جوان أن تجلس عليه ثم قال موافقاً:

ـ سوف أتصل بدائرة المحاسبة.

شعرت جوان أنّ قواها قد خارت وارتجفت ركبتيها عندما أفلتتها يده، فغرقت في الكرسي تلبية لطلبه وقد أصابتها الدهشة لانصياعه غير المتوقع لرغبتها. لم يكن براندت ليون بالرجل الذي يتراجع عن موقف يتخذه. راقبته، واعية لضربات قلبها السريعة، وهو يطلب أرقام هاتف دائرة الحسابات والرواتب.

حدق إليها بنظرة جوفاء وكأنه يريد أن يتأكد من أنها لا تزال

www.elromancia.com

موجودة قبل أن يتحدث. وقال في صوت أمر وهادىء:

ـ كونالي؟ معك براندت ليون. لقد مزقت الآنسة سومرز الشيك براتبها عن إهمال. اسحب شيكاً آخراً باسمها واجلبه لي كي أوقعه.

توقف براندت عن الحديث قليلاً ونظر خلال ذلك إلى جوان التي كانت ممسكة بأنفاسها بفعل نظراته المسمّرة، ثم أكمل حديثه مشدداً:

ـ تماماً بالمبلغ ذاته الذي سطر على الشيك السابق.

ظهر استياؤها فوراً وقد لاحظت أنه خدعها وجعلها تصدق أنه وافق على طلبها، فقفزت على قدميها وخرجت من الغرفة من دون استئذان. لم تضع وقتاً في ترتيب طاولتها فالتقطت حقيبة يدها واندفعت إلى حيث عُلّق معطفها. كانت تمد يدها إلى أكرة الباب الذي يوصل إلى الردهة الخارجية عندما ظهر براندت على عتبة باب غرفته، وطالبها بلطف:

ـ جوان ارجعي إلى هنا!

رمقته بنظرة ملؤها الغضب:

ـ سوف أغادر العمل باكراً اليوم، ولا تنس أن تحسم هذا الوقت من راتبي الأسبوع القادم.

خرجت من الباب وأغلقته خلفها بقوة، وكان تهكمها الأخير ما يزال يرنّ في هواء الغرفة.

على الرغم من اطمئنانها أن براندت لن يلاحقها عبر الردهات، إلا أنها استمرت تسرع الخطى نحو الباب الخارجي. نظرت خلفها بقلق وهي تخرج من المبنى بسرعة، لم يكن هناك من أحد غير موظفة الاستقبال التي اعتراها الفضول. وصلت إلى محطة الباصات في ذات الوقت الذي توقف فيه الباص فأسرعت بالصعود إليه.

وصلت كاي إلى الشقة بعد ساعة ونصف من وصول جوان، لأنّها توقفت في طريقها إلى البيت لتصرف الشيك الذي استلمته براتبها وتشتري بدلة كانت قد دفعت عربوناً عليها منذ فترة. ولهذا لم تفاجأ

تماماً عندما وجدت أن جوان قد سبقتها إلى البيت.

رمت كاي بنفسها وبالأغراض التي تحملها على الصوفا وقالت بارتياح:

ـ شكراً! ها هو يوم الجمعة أخيراً... لا أعرف تماماً سبب هذا الإحساس بالارتياح. سيأتي جون بعد ساعة كي نذهب لحضور السينما ويجب أن أستيقظ باكراً في الصباح كي أذهب معه إلى المطار لملاقاة أيد. أتريدين الذهاب معنا؟

ـ أعتقد أني سأذهب.

وافقت جوان وهي غير متحمسة تماماً لوصول أيد، مع أنها كانت تتشوق لرؤيته سابقاً. واستدارت مبتعدة عن كاي بسرعة قبل أن تلاحظ ترددها وأخذت تحضر طاولة الطعام للعشاء.

ـ لقد سخنت طبق اليخنة، وباستطاعتنا أن نأكل متى تشائين.

تنهدت كاي مستنكرة وانتصبت في جلستها:

ـ يخنة! ليت باستطاعتنا تحمل تكاليف شرائح اللحم. أتمنى لو كان باستطاعة جون تحمل تكاليف تناول اللحم في مطعم. ولكنه للأسف لا يستطيع، فلنكتفِ باليخنة. سوف آكل ثم أستحم.

على الرغم من تعليقاتها المستنكرة، أكلت كاي كل ما في طبق اليخنة والتهمت السلطة التي حضرتها جوان. بعد ذلك ساعدت كاي جوان على تنظيف المائدة ولملمة الصحون، وعندما جاء دور غسل الصحون أصرّت جوان أن تغسلها بمفردها.

ملأت حوض الغسيل بالماء والصابون ووضعت الصحون فيه لتنقعها قليلاً ثم أخذت ترتب الغرفة. وعندما انتهت من ترتيب الغرفة ورجعت إلى الحوض لتغسل الصحون خرجت كاي من الحمام وارتدت ملابسها، ثم سمعت دقاً سريعاً على باب الشقة فاندفعت خارج غرفة النوم.

قالت بحماس بالغ وهي تهرع نحو الباب:

ـ لقد وصل جون ولم أنتهِ بعد حتى من تمشيط شعري.

فابتسمت جوان وهي تدير رأسها نحوها:

ـ لن يمانع بانتظارك بضع دقائق.

سمعت جوان كاي تفتح الباب ولكنها لم تلتفت إلا عندما سمعت صديقتها تقول بنفس متقطع «أوه، أهلاً».

ـ هل الآنسة سومرز هنا؟

انذهلت جوان عندما سمعت صوت براندت ليون وأحست بموجة مجنونة من الحرارة تسري في كامل جسمها وتكاد أن تخنقها فحولت انتباهها إلى حوض غسيل الصحون المليء بفقاعات الصابون وكأنها تتظاهر بأنها لم تسمع صوته يتهادى لأسماعها عبر الغرفة.

أجابته كاي وهي ما تزال مندهشة ومذهولة، وفتحت الباب أكثر لتفسح له مجال المرور:

ـ نعم، بالطبع! جوان..!

أجبرها صوت كاي المليء بالحيرة والفضول على الالتفات، فتقلص فمها بعصبية ورسم ابتسامة مصطنعة من الدهشة لقدوم براندت. يبدو أن وجوده طغى على الغرفة فبانت أصغر حجماً مما هي عليه.

لم يتوقف براندت عند عتبة الباب بل تابع السير وعبر الغرفة ليقف إلى جانبها، فلم تستطع ملاقاة نظراته المليئة بلهو متهكم.

خرج صوتها رفيعاً مرتجفاً:

ـ سيد ليون، ما الذي تفعله هنا؟

همس براندت في أذنها:

ـ وكأنك لا تعرفين.

شعرت جوان بعدم الارتياح واحمرت وجنتاها وألقت نظرة سريعة على كاي. كانت السمراء الصغيرة-الحجم تراقبهما بصمت وذهول، ولكنها انسحبت بسرعة إلى غرفة النوم بعد تبادلها النظرات مع جوان.

زاد إغلاق الباب من إحساسها بحميمية حضوره وتمنّت أن تستدعي كاي لتبقى معها. استدارت لتواجه الحوض وتعمدت أن تغطس يديها في الماء كي لا يرى ارتجافهما.

انتقل براندت بهدوء إلى جهة الخزائن وأرخى مرفقه على لوحة التنشيف وأسند ظهره إلى الجدار. وبدا أن نظراته تركزت على عروق عنقها النابضة التي كشفت إحساسها بوجوده. جفلت جوان عندما رأت يده ترتفع ولكنها احمرت خجلاً عندما وضعها في الجيب الداخلي لسترته الغالية الثمن.

كانت نبرات صوته المسلية متهكمة عندما وضع مغلفاً فوق لوحة التنشيف.

ـ لقد نسيت أن تأخذي شيكك بعد الظهر.

بلعت جوان ريقها:

ـ هل صححته؟

أجابها براندت بهدوء من يكظم غيظه:

ـ نعم، لقد أصدرنا الشيك بالمبلغ الصحيح.

فاتهمته جوان بحدة ولكن بصوت خفيض:

ـ أنت تعرف تماماً ما أعني.

تمعن براندت في وجهها بطريقته اللامبالية والكسولة، متفحصاً كل ملامحها:

ـ يجب أن تعرفي يا جوان بعد أن عملت عندي ثلاث سنوات، أني دائماً أحصل على ما أريد.

لوت عنقها بعناد بزاوية حادة عززت من جمال رقبتها:

ـ ليس في هذا الشأن.

تعمقت الخطوط حول فمه وبدا أن صبره يكاد ينفد:

ـ لماذا لا تقبلين الشيك بدلاً من جعله مشكلة كبيرة؟

استدارت جوان مبتعدة عن براندت سريعاً بعد أن سمعت قرعاً على

الباب. ولم تهتم وهي ترى كاي تخرج من غرفة النوم لتفتح الباب، فهي تحتاج إلى بضع لحظات بعيداً عن حضور براندت الذي يفقدها أعصابها مهما كانت هذه اللحظات قصيرة.

توسلت إلى كاي بعينيها ألاّ تسارع بالذهاب مع جون، ولكن جون، على غير عادته، كان لديه مخططات أخرى وأصر على كاي أن يذهبا فوراً كي لا تفوتهم بداية الفيلم. ولم يفت براندت رؤيتها ترتبك عندما غادر جون وكاي وبقيا بمفردهما.

خلع براندت معطفه في الوقت الذي كانت فيه جوان تركز انتباهها على كاي وجون. جعلت قامته وأناقته أنفاس جوان تنقطع، وجعلت ثياب السهرة الأنيقة التي يرتديها من الصعب على جوان أن تدمج صورة هذا الغريب الواقف أمامها مع صورة الرجل الذي تعمل عنده يومياً.

استفهم منها بخفة:

ـ ألا تخرجين للسهرة هذا المساء؟

ضرب سؤاله وتراً حساساً:

ـ ألا يبدو لك الأمر واضحاً؟

وأشارت جوان إلى قميصها القديم الذي استغنى أخاها عنه وإلى سروالها الجينز الضيق، وقد شعرت بأن ثيابها غير لائقة نسبة إلى ثيابه.

ـ بهذه الملابس لا يمكنني الخروج في موعد مع أحد.

ـ من الصعب التكهن بهذا بالنسبة لما ترتديه الفتيات هذه الأيام.

ولكن انتقاده رد إليه بالمثل.

ـ أنا متأكدة أن النساء اللواتي يخرجن معك أنيقات مثلك.

لم يعد براندت متكئاً على حافة الحوض بل أصبح بعيداً عنها أمتاراً عدة. فتجاوزته وهي تعود إلى الصحون المتكدسة على الحوض، وسألته بتهكم لاذع:

ـ من هي سعيدة الحظ الليلة؟ أهي الشقراء التي تشبه لعبة صينية والتي رأيتها معك منذ عدة أسابيع؟

أرجع رأسه إلى الوراء ولمعت عيناه بنظرات راقصة:

ـ الأفضلية لك! أنت تتحدثين عن انجيلا على ما أعتقد وهي لا تشبه لعبة صينية. والتي يمكن تشبيهها باللعبة الصينية، لسوء الحظ لم أخرج معها بعد.

فانتفضت وردت عليه:

ـ لا يمكن اعتبار ذلك سوء حظ لأنك ترفض مزج العمل مع اللهو.

علا العبوس وجهه فجأة وأدركت أنها تخطت حدودها فوضعت يدها على شعرها وأرجعت خصلة ذهبية اللون إلى مكانها وهزت كتفيها وكأنها تعتذر:

ـ لقد تكلمت خارج إطار الحديث، لا تدعني أؤخرك. لا شك أنك متشوق للقاء من وعدتها بالخروج.

رد عليها براندت وهو يحدق إليها بضيق:

ـ ليس من السهل إلهائي عن سبب وجودي في شقتك يا جوان، ماذا ستفعلين بشأن الشيك؟

وافقت جوان بانزعاج:

ـ أعتقد أني يجب أن أقبله.

على الرغم من ابتعادها عنه عدة خطوات، كانت كالفراشة المعلقة بدبوس، فهي لم تستطع أن تحرر نفسها من نظراته المهيمنة.

طالبها براندت بهدوء:

ـ هل تعديني بذلك؟

كادت جوان أن لا تعطيه وعداً في لحظة تمرد. ولكنها تكهنت أنه لن يغادر قبل أن يحصل على وعدها، وبقدر ما كان يؤلمها قربه الشديد منها كانت تتمنى أن يبقى.

انتزعت جوان الكلمات من حلقها المنقبض العضلات:

ـ أعدك أني لن أمزقه ثانية.

www.elromancia.com

تقلصت جوانب فمه وهو يدرك احتمالات أن تنكث بوعدها وأن ترمي الشبك في زاوية ما.

ـ أنا لست ثرية كي لا أحتاج إلى كل قرش أحصله، أؤكد لك أني سأصرفه.

ابتسم براندت:

ـ أرأيت أن ذلك ليس صعباً.

فأجابته وهي تقاوم تسارع نبضها المفاجىء بفعل ابتسامته الساحرة:

ـ لم تترك لي مجالاً إلا الموافقة، وهل من سبيل آخر لأجعلك تغادر؟

فهزأ منها وهو يراقب كيف لعقت شفتيها بعصبية:

ـ هل أنت منتظرة ذهابي بقلق؟

ـ بمقدار ما أنت متحمس للذهاب؟

جال بنظراته في الغرفة ثم حدق إلى وجهها الشاحب:

ـ ما أدراك، ربما أردت البقاء.

غلّفت كلماتها برفض خفيف:

ـ لا أستطيع أن أصدق أنك تفضل صحبتي رغم إرادتي، على صحبة انجيلا المتشوقة.

أمسكت يده بمعصم يدها اليسرى فيما كانت تهم بالابتعاد عنه، وشدد قبضته عندما حاولت التملص وأدارها نحوه بلطف. أكدت لها قدرته على تطويع مقاومتها بهذه السهولة مدى قوته، ولكن هذا الانطباع زال بسرعة ليحل مكانه مشاعر انتشرت على كامل جسمها.

تلاعب براندت بالألفاظ بنبرة غريبة:

ـ لا يدهشني أنه يكمن خلف النظارات وكعكة الشعر السخيفة لسكرتيرتي الكفؤة، امرأة حساسة وغير مطمئنة.

كم هي بحاجة إلى ذراعيه كي تحميها وتهدئها. لم تجرؤ على

التنفس خوفاً من أن تكشف عن إعجابها به. وركزت نظراتها على عقدة ربطة عنقه وهي تتمزق بعذاب الشوق إليه.

أفلتها براندت بحركة قاسية دلت على فقدان الصبر وسار برشاقة نحو الكرسي حيث ألقى معطفه، فتقلبت أحاسيس جوان في داخلها بفعل الصدمة المفاجئة التي أحدثها انسحابه.

قال لها بحدة:

ـ سأتأخر عن انجيلا إذا لم أذهب الآن.

أجابت متهكمة بصوت منخفض ومتمالك كي تخفي رعشة الألم التي سرت في داخلها:

ـ ليس من المستحسن أن تجعلها تنتظر.

رد عليها براندت بنفس الطريقة:

ـ هذا صحيح! وهي على العكس منك متشوقة لرفقتي.

حملته خطواته الثقيلة بسرعة إلى الباب والردهة الخارجية حيث تردد، ثم ألقى عليها سؤالاً دل على اهتمام متحامل:

ـ هل ستكونين على ما يرام وأنت بمفردك هنا في الشقة؟

فتصلبت جوان مغتاظة من غرور الرجل فيه.

ـ سأكون منشغلة كثيراً هذه الليلة بصورة لا تجعلني أشعر أني وحيدة. سيصل أيد في الصباح ويجب أن أنجز أعمالاً كثيرة قبل وصوله.

فحدّق إلى كل قسمات وجهها وأمرها.

ـ أقفلي الباب بعدي ذهابي!

وهكذا فعلت جوان.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ من يحميها من الذئب؟

سمعت جوان وهي تدخل مكتبها جارور خزانة الملفات المعدني يُغلق بعنف، فرشقت براندت بنظراتها في الوقت الذي كان ينظر فيه إلى ساعة يده.

أعلمته ببرود وهي تسير نحو علاقة الثياب لتعلق عليها معطفها:

ـ لقد جئت قبل الوقت بخمس دقائق.

وجدته متكئاً إلى الخزانة وكانت خطوط فمه القاسية مشدودة الأطراف في ابتسامة صفراء فيما كانت نظراته تتمعن بها باستهزاء.

ـ لم أعرف عنك يا آنسة سومرز غير دقة مواعيدك، على الرغم من أني ظننت أنك ربما تسرقين بعض الوقت هذا الصباح بعد أن أمضيت عطلة أسبوع مليئة بالمشاغل.

كانت عطلة نهاية الأسبوع في الواقع باهتة ومملة. لقد اصطنعت الكثير من الابتسام والضحك، وادعت كثيراً أنها تتمتع بصحبة أيد.

أجابته بلطف وهي تسير نحو طاولتها وتلتقط نظاراتها الطبية من حقيبة يدها وتضعها على وجهها:

ـ أنا مثلك يا سيد ليون لا أسمح لحياتي الخاصة بالتأثير على عملي. والآن ما الذي كنت تبحث عنه في خزانة الملفات؟

تهكم على محاولة جوان الماكرة تغيير مجرى الحديث.

ـ لقد تلبست جلد الموظفة بسرعة، أليس كذلك يا جوان؟ لم تكن دوافع ملاحظتي إلا اهتمام ودي من صديق بأن تكوني قد أمضيت عطلة

الأسبوع كما تمنيت أن تكون.

ـ لست مهتماً بكيفية قضاء عطلتي مع أيد أكثر من اهتمامي أنا بتفاصيل عطلتك مع انجيلا.

كانت كلماتها المتصلبة ممتلئة بالكثير من غيرتها المريرة. لقد كانت عطلتها الأسبوعية مسكونة بطيف براندت وهو يضم انجيلا بين ذراعيه.

تصلبت قسمات وجه براندت، ثم ابتعد عن الخزانة وسار بخطوات عريضة إلى باب غرفة مكتبه المفتوح وتكلم من دون أن يدير ظهره.

ـ أردت الجدول الكامل لمشروع بلاكوود. اجلبيه لي في مكتبي، وعندما تنتهي الحرب الباردة اعلميني بذلك.

لذع هذا الكلام جوان ولم تجد رداً:

ـ لا أعرف عن ماذا تتكلم؟

توقف براندت عند عتبة الباب وضاقت عيناه وهو يحدق إلى نظراتها الباردة والمتعالية، وانتفض قائلاً:

ـ أنا لست معتاداً على تلقي رد بارد فقط لأني ألقيت ملاحظة بريئة.

تساوت نبرات صوتها مع نبرات صوت براندت المشدودة:

ـ لم نتبادل من قبل أسرار بعضنا البعض، ولا أجد سبباً لنفعل ذلك الآن.

فضحك وقال:

ـ أيتها الصغيرة الحساسة والمتزمتة! لم يكن في نيتي الدخول في خصوصياتك أو تبادل الأسرار الحميمة. فنوع الحديث الذي كان في بالي هو كيف أمضيت عطلة الأسبوع؟ ليكون ردك عليه: «لقد أمضيت وقتاً جيداً». ثم أتابع وأقول «لقد انتهى اللهو وها نحن رجعنا لنعمل طوال أسبوع». لقد كانت نواياي بريئة جداً.

www.efromobeida.com

احمر وجه جوان خجلاً وقد أرجعها كلام براندت إلى موقف دفاعي، وحاولت أن تجد عذراً:

ـ أنا لم أعرف... أنا لم أدرك.. لقد أسأت الفهم وأنا متأسفة.

أشاحت بنظراتها عنه عندما مال برأسه نحوها مستفهماً وقد غاب عن صوته الاستياء.

ـ أنت كالعادة تقيمين الجبال وتقعدينها من لا شيء... هل تقبلين أن نعقد السلام؟

تحرك فمها في ابتسامة تجريبية ووافقت على عرضه:

ـ نعم! لقد حل السلام.

هز رأسه فجأة وظهر بريق متراقص في عينيه:

ـ حسناً. اجلبي لي هذا الجدول، لقد حان وقت العودة إلى العمل.

صمدت الهدنة بينهما بصورة مدهشة. ولم تعد التشنجات الصغيرة بينهما تفجر الجو. كان الأمر مراً وحلواً بالنسبة لجوان، ولكنها على الأقل لم تعد مضطرة إلى الانتباه لكل كلمة تقولها خوفاً من أن يسيء براندت الفهم.

إضافة إلى ذلك، فهذا الأسبوع هو أسبوع «عيد الميلاد» ومن الخطأ أن لا يعلن السلام بينهما. فعيد الميلاد هو مناسبة للحب، وقلبها مفعم بحب براندت. ستقدم استقالتها بعد شهر وتخرج نهائياً من حياته، ومن الأفضل أن تترك صديقاً عادياً بدلاً من تحريضه على شنّ حرب باردة عليها.

ترددت أصابعها على مفاتيح أحرف الآلة الكاتبة وتمنت لو أنها لم تتذكر أنها ستترك قريباً هذا العمل، فقبل دقيقة كانت تسبح صامتة في بهجة عيد الميلاد. صممت ألاّ تسمح لنفسها بالعودة إلى كآبة اليأس، فهي ستأخذ الأوتوبيس الليلة لتعود إلى المنزل وتمضي عيد الميلاد مع عائلتها. ولن تترك لشوق لا فائدة منه أن يفسد عليها هذه الزيارة.

فتحت كاي الباب ودخلت إلى مكتب جوان. وكانت تلمع على شفتيها ابتسامة الرضى. وعاتبتها بلطف:

ـ ألست جاهزة بعد؟ لقد أصبح الجميع في الكافتيريا ولم يبقَ غيرك وغير السيد ليون.

ابتسمت جوان بدورها. فكاي تحب دائماً الانضمام إلى الحفلات، وحفلة عيد الميلاد السنوية في الشركة هي مناسبة أخرى كي تستعرض شخصيتها المنفتحة. فردت عليها:

ـ سأنهي عملي لهذا اليوم حالما أنتهي من طباعة هذه الرسالة.

تنهدت كاي:

ـ أنت مخلصة أكثر من اللازم لعملك، ما الذي يهم إذا أنهيت هذه الرسالة اليوم أم لا؟ غداً يوم عطلة عيد الميلاد وهي لن تسلم إلى المكان المرسلة إليه.

فردّت جوان بعقلانية:

ـ لن يستغرق مني طباعتها أكثر من بضع دقائق، وهكذا لن أجدها بانتظاري عندما أعود من العطلة.

كشرت كاي أنفها وانساقت نحو الباب:

ـ حسناً، لن أنتظرك، سوف تبدأ الحفلة الساعة الواحدة والنصف والوقت الآن الواحدة والربع.

فردّت جوان واعدةً إياها:

ـ سألحق بك بعد قليل.

وضعت الرسالة بعد أن انتهت من طباعتها مع مجموعة الأوراق الأخرى التي تنتظر توقيع براندت، ثم رتبت طاولتها. كانت روح كاي المرحة معدية، فوجدت أن الابتسامة أخذت طريقها إلى شفتيها وهي تحمل الرسائل وتسير نحو الباب الموصل لمكتب براندت. دقت على الباب بخفة ودخلت المكتب بعد أن استدعاها.

كان مسنداً ظهره بكسل إلى كرسي جلد كبير، وفيما كانت تقترب

www.elromancia.com

من طاولته أربكتها الابتسامة التي ارتسمت على فمه.

قالت له وهي تضع الأوراق على طاولته:

ـ هل تتفضل وتوقع هذه الرسائل سيد ليون لأرسلها اليوم؟

فالتقط قلمه وبدأ توقيع الرسائل.

ـ وتنتهين من كل شيء بعد ذلك، أليس كذلك؟

وافقته جوان بهدوء وقد جذبت انتباهها الطريقة التي كان ينساب بها قلمه على الورق: نعم.

تكلم إليها من دون أن يرفع رأسه:

ـ لقد تأخرت عن حضور الحفلة.

ـ وكذلك أنت.

لم يكن بإمكانها منذ عدة أيام قبل أن يعقدا الهدنة بينهما الرد بهذه السهولة وبهذه العفوية.

وقع على الرسالة الأخيرة، ولكن عوضاً عن إعادة الرسائل لها، بدأ يطويها ويضعها داخل المغلفات الخاصة بها.

ثم رفع نظره إليها وابتسم:

ـ أنت على حق، ولكن من المفترض أن يصل المدير متأخراً ويغادر مبكراً كي لا يربك الموظفين ويكبح جماح تمتعهم بالحفلة.

أثارتها ابتسامته وأرسلت في داخلها صدمات متكررة وحولت اهتمامها إلى الرسائل:

ـ أعتقد أنه من الطبيعي أن نكون واعين لتصرفاتنا عندما نكون حاضراً.

تعمدت وضع نفسها ضمن بقية موظفي الشركة على الرغم من أنها ليست كذلك تماماً. فقربها من الرئيس رفعها إلى مرتبة لا يمكن تفسير ماهيتها.

أقفل براندت المغلفات على الرسائل ولكنه احتفظ بها في يده:

ـ هل تخجلين في حضوري؟

فردت عليه جوان بحذق:

ـ ليس بقدر الآخرين الذين يرونك فقط عن بعد.

تجولت نظراته على وجهها وتفحصت ملامحها اليقظة:

ـ إذاً أنا بالنسبة لك لست بالإله الذي لا يقهر والذي يحمل سيفاً بيده، سيف الطرد من الوظيفة.

تملصت من الجواب:

ـ إنك رئيسي في العمل.

إنه كامل القدرة في سيطرته على قلبها وأحاسيسها ولكنّها لا ترغب في اعتباره إلهاً. مدّت يدها لتأخذ الرسائل فسلّمها المغلفات بعد تردّد.

قالت وهي تحس بحرارة يديه على المغلفات:

ـ سأذهب إلى الحفلة الآن.

ـ ليس الآن!

علا وجهه القاسي الملامح تعبير ساحر وهو ينهض عن مقعده ويدور حول الطاولة إلى حيث كانت تقف، وأسرت نظراته عيني جوان البنيتين الحائرتين بهيمنة.

ـ أريد أن أعطيك شيئاً قبل أن تذهبي.

رددت وراءه متسائلة «تعطيني؟» بصوت ضعيف يكاد لا يسمع وراقبته بمد يده إلى جيبه ويسحب علبة مجوهرات مسطحة. فشعرت بأن هناك شيئاً آخر يكمن وراء لمعان عينيه، وسبب ذلك تسارع نبضها. كانت يداها ترتجفان بعنف وهي تأخذ منه العلبة، ولم يكن بوسعها إلا التحديق إلى اسم متجر المجوهرات الراقي والمعروف الذي كان محفوراً على سطح العلبة الجلدية.

طلب منها براندت فتح العلبة.

سلط عينيه على رأسها المنحني وراقبها منتظراً. عبثت جوان بالعلبة التي تمسك بها لثانية ثم فتحت الغطاء تلبية لطلبه، فلمع أمام عينيها شكل دائري ملقى على سطح من المخمل الزيتي اللون مؤلف من

حلقات بيضاوية الشكل. ورأت قطعة مستطيلة من معدن لماع على شكل خزانة ملفات متدلية من السوار وكانت قبضات الخزانة من قطع الألماس.

قال براندت وهو يلوي عنقه كي يرى وجهها بشكل أفضل:

ـ أتمنى أن تكون قد نالت إعجابك.

زمت جوان شفتيها بشدة ودموع السعادة الغبية تترقرق في عينيها. لمست هديته أعماق قلبها، ففاض بأجمل ما في الدنيا من أحاسيس. كانت خزانة الملفات سراً خاصاً بينهما منذ اليوم الأول الذي تسلمت فيه العمل عنده، أحياناً كانت مثار جدال بينهما لأن براندت كان يعيد وضع ملف في غير مكانه في غيابها أو يثير عاصفة عندما لا يكون في استطاعته فهم نظام وضع الملفات، ولكنها كانت دائماً صلة وصل خاصة بينهما.

أكدت له في صوت مخنوق وهي تحاول منع دموعها من الانهمار وتبتسم له بإعياء:

ـ إنها رائعة، شكراً!

انهمرت دمعة وحيدة من خلال أهدابها، فمدَّ براندت يده برقة ومسحها بإبهامه، ومازحها بلطف:

ـ لن تسيئي فهم دوافعي لإهدائك هذه الهدية، أليس كذلك؟ وستحصلين على علاوة عيد الميلاد المعتادة مثل كل العاملين في شركة ليون للمقاولات. هذه الهدية هي من براندت ليون إلى جوان سومرز وليس فيها غير روح عيد الميلاد.

ظنت جوان في لحظة جزع أنه ينبهها أن الهدية ليست تعبيراً عن عواطف ذات جانب جدي، ولكنها أدركت أنه يشير إلى ثورة غضبها عندما دفع لها مقابل عطلة الأسبوع حين احتجزتهما العاصفة في المكتب.

كانت ما تزال ممسكة بالعلبة فلمست السوار الناعم بأصابعها

وتمتمت:

ـ لقد فهمت، إنها هدية من صديق إلى صديق.

تحولت الخطوط حول فمه إلى أخاديد بفعل ابتسامته العريضة ولكن الابتسامة لأمر ما لم تصل إلى عينيه، ثم قال لها وهو يمد يده إلى العلبة ويأخذ السوار:

ـ دعيني أساعدك على وضعها في يدك.

لم تجد جوان سبيلاً للاعتراض فمدَّت له رسغها، وضع براندت السوار حوله وأغلق قفله فتساءلت بصورة لا واعية عما سيجلبه لها هذا السوار، فها هو براندت قد استولى لتوه على جزء آخر من قلبها وروحها ولن تستطيع أن تتحرر منه أبداً.

أصبح الصمت السائد متوتراً وبدت عينا براندت وكأنهما تخترقانها في العمق. فقالت:

ـ أ... أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى الحفلة.

لاحظت بعد فوات الأوان أنها تكلمت بصيغة تجمعهما كزوج.

قال لها بنبرة حتمية:

ـ إنه عيد الميلاد، إنه وقت البهجة.

كان يرى عبوسها الحائر:

ـ إنه وقت مناسب كي تتركي شعرك متهدلاً، وأعني ما أقول يا جوان. فيكفي سوءاً أن يكون المدير حاضراً ليفسد المرح. إنَّ حضور معلمة مدرسة ابتدائية متزمتة هو حقاً ضغط لا لزوم له.

طارت يدها بصورة دفاعية إلى شعرها الملفوف بنعومة على شكل كعكة خلف عنقها. أدارها حول نفسها برشاقة متناهية لم توفر لها وقتاً للاعتراض وأرخى عن كتفيها السترة الصوفية ذات اللونين الذهبي والأخضر وعندما أدارها لتصبح في مواجهته ثانية، سألته بأنفاس متقطعة:

ـ ما الذي تفعله؟

تجاهل سؤالها للحظة قصيرة فيما كانت نظراته العميقة تتمعن فيها ثابتة هذه المرة.

ـ أنت ذاهبة إلى حفلة ويجب أن تبدي كامرأة وليس كسكرتيرة مثالية، هل ستسدلين شعرك أم أفعل ذلك بنفسي؟

لم تشك للحظة أنه سيقوم بذلك، فخطت بسرعة للوراء لتصبح بعيدة عن متناول يده لكن أصابعه تابعت العبث بدبابيس شعرها. لم تستطع أن تفسّر لماذا لبّت طلباته بهذه السهولة، فربما يعود ذلك لإحساسها الذي أخبرها أن لا شيء يكمن وراء طلبه غير ما قاله لها. إضافة إلى أنها كانت في الحقيقة مترددة في أن تدخل في جدال معه.

عندما أزاح آخر دبوس وانهدل الشعر الذهبي اللون على ظهرها، هز رأسه مستحسناً:

ـ هذا أفضل بكثير.

لم ترَ جوان في عينيه غير الاستحسان والرضى، لم تكن هناك أي لمحة إعجاب. ما الذي كانت تتوقعه؟ أن يطلق سيلاً من المديح والإطراء؟

ومع ذلك شعرت بالخيبة واستدارت بعيداً عنه وتمتمت:

ـ سأجلب فرشاة شعري التي على الطاولة في غرفتي.

لم تمكنها ساقاها المرتجفتان من السير بسرعة. وما كادت تلتقط الفرشاة من جرّار الطاولة حتى لحق بها براندت وأخذ يتجوّل في غرفتها. أخذته خطواته المتثاقلة إلى جانب النافذة حيث بقي هناك يحدق بصمت إلى الخارج حتى سمع صوت جارور الطاولة وهو يغلق. فسألها من دون أن يلتفت ويداه معقودتان خلف ظهره:

ـ هل أصبحت جاهزة؟

أجابته «نعم» ثم بسرعة قالت «لا» ثم مدّت يدها إلى جارور الطاولة الجانبي وأخذت من داخله علبة صغيرة ملفوفة بورق الهدايا.

سأل براندت وهو يميل رأسه متعجباً:

ـ أهذه هدية لي؟ منك؟

ظهر برعم وردي على كل من خديها.

ـ من كل الموظفين، أنا.. أنا شخصياً لم أبتع لك هدية.

انقبضت أساريره قليلاً وانتقل بنظره إلى العلبة التي بين يديها:

ـ لم أتوقع أن تقدمي هدية شخصية لي، لأنك لو فعلت لكان ذلك أثار فضولي لمعرفة السبب في ذلك. هل أنت الذي اختارها؟

بدا لجوان أن الشريط الأحمر الذي ربطت به العلبة يحرق يديها وهي تتخيل طقم الأقلام ذا الثمن المرتفع داخل العلبة. وتمنت وهي تفكر في السوار الأنيق الذي طوق رسغها لو اختارت هدية أكثر خصوصية. أجابته بنعومة: أجل!

ـ هذا يجعلني متأكداً أن الهدية ملائمة وتليق بأن يقدمها الموظفين إلى صاحب عملهم.

حملته خطواته العريضة إلى أمام طاولتها وكانت الضحكة تكمن في نبرة صوته الخفيضة.

ـ هيا بنا، لقد حان الوقت لظهوري.

شعرت جوان بارتباك وهي ترى الرؤوس تدور لتحملق بهما عندما دخلت هي وبراندت الكافتيريا التي زينت بطريقة بدائية، ولم يخفف من عدم ارتياحها يد براندت التي كانت تلف خصرها.

كانت عدة فتيات بالإضافة إلى كاي قد رأين جوان خارج العمل ويعرفن كيف يمكنها في الحقيقة أن تكون جذابة، وكثيراً ما كن فيما بينهن يهززن رؤوسهن ويتساءلن عن الأسباب التي تدفعها لتورية جمالها. أما باقي الموظفين بما فيهم كل الرجال، فلم يشاهدوها أبداً إلا وهي تتقمص دور السكرتيرة المنفذة. وقد ركّزوا على التحول الذي طرأ عليها أكثر من أنها دخلت مكان الحفلة برفقة المدير.

بعد أن ران الهدوء وهما يدخلان، انجذب الجميع نحوهما. وبقيت يد براندت خلف ظهرها لا يسحبها إلا عندما يضطر إلى مصافحة

أحد ثم يرجعها إلى مكانها قبل أن يتسنى لجوان أن تتملص منه.

تزايد شعورها الغريب بالحرج عندما أخذوا يرمونها بنظرات تحاول أن تتكهن الأمور. لم تستطع أن تندمج في أحاديث فارغة ولزمت الصمت إلا عندما كانت ترد التحية بالعيد السعيد بالابتسام.

كانت قد نسيت تماماً العلبة الصغيرة التي في يدها حتى نبهتها إحدى الفتيات وقالت:

ـ قدمي الهدية إلى السيد ليون.

مدت جوان يدها بالعلبة إلى براندت وهي تتمتم بصوت يكاد لا يسمع عوضاً أن تلقي كلمة صغيرة بالمناسبة.

ـ هذه الهدية منا جميعاً في شركة ليون للمقاولات، عيد ميلاد سعيد.

غمز براندت من قناة المجموعة المتحلقة حوله.

ـ كنت أتساءل كم من الوقت ستجعلونني أنتظر قبل أن تقدموا لي هديتي.

استغلت جوان فرصة انهماك براندت بفك شريط علبة الهدية الذهبي وانسلت خلف الجميع. بدا أن براندت لم يشعر بأنها ابتعدت عنه وتساءلت فيما إذا كان حقاً يريد أن يبقيها إلى جانبه أم أنها أساءت فهم تصرفاته.

عبر براندت للموظفين عن سرور حقيقي وغير مصطنع عندما كشف عن هديته ولكنها لم تشعر بدغدغة الفرح. فقد ملأتها الحسرة وظهر الحزن العميق في عينيها وهي تسمع الرنين الخافت لسوارها وتنظر إلى رأسه من الخلف عندما التفت إليها.

نظر براندت من فوق كتفه وكأنه كان يحس بوجودها طوال الوقت، وقال وكأنه لم يعرف لتوه أنها ابتعدت:

ـ هل اخترت هذه الهدية بنفسك يا آنسة سومرز؟

تنحى الأشخاص الذين كانوا يقفون أمامها إلى الجانب عندما

استدار ليواجهها.

ـ إن ذوقك رائع.

لم تجد جواباً غير: أتمنى.. أن تكون أعجبتك.

ابتسم لها برضى:

ـ يجب أن تذكريني ألاّ أعيرهما لأحد.

أجابته من دون أن تلاقي نظراتها نظراته: بالطبع.

عندما نظر فوق رأسها لمع في عينيه بريق مفاجىء وقاسٍ وقال بنبرة قوية:

ـ لم أتلقَّ من قبل دعوة جريئة بهذه الصورة، ولن أكون إنساناً إذا رفضتها.

أصيبت جوان بالحيرة بسبب كلامه الغريب حتى نظرت إلى الأعلى، ورأت كرة الميلاد التي تشير إلى من سيتلقى عناق الميلاد معلقة من شريط الكهرباء فوق رأسها. اصطبغ خداها باللون الأحمر القاني عندما رفعت رأسها. وفي جزء من الثانية أصبح براندت إلى جانبها، فيما كان جميع من في الغرفة يطلقون صيحات الابتهاج.

حدقت جوان بعجز إلى وجهه القاسي الملامح، واخترق رجاؤها الهامس الصمت المخيم:

ـ براندت، أرجوك لا...

فالتمع وجهه بابتسامة عريضة:

ـ أين روح عيد الميلاد عندك يا آنسة سومرز.

أخفضت أهدابها باستياء عندما أمسك ذقنها بأصابعه، وتناهى إلى سمعها صوت ضربات قلبها الخافق. ثم أحاطها بذراعيه وعانقها وأخذ وقتاً أطول مما تستدعيه هذه الطقوس الميلادية مما جعل جمع المتفرجين حولهما يسجلون هذه الواقعة في ذاكرتهم.

مالت جوان نحوه عندما انتهى الطقس الميلادي ولكن يداه التي كانتا على كتفيها ثبتتاها في مكانها لبضع ثوان حتى استعادت تمالكها

لنفسها. فتحت عينيها وهي تشعر بالحرج والاستياء وتقابلت نظراتها مع تحديقه المتفحص. فمازحها براندت بلطف وبتهكم واضح:

ـ أوه يا آنسة سومرز، أعتقد أنك ترغبين بصفعي..

كانت تود القيام بذلك كرد اعتبار لكبريائها:

ـ لم يكن ذلك إلا عناقاً بريئاً للاحتفال بعيد الميلاد.

ولكن المشاعر التي أثارها فيها لم تكن بريئة ولم يكن بمستطاع جوان الإفصاح عنها. ولم تجد ما تقوله، فاختارت أسهل السبل وقالت وهي تميل برأسها وتصطنع الابتسام.

ـ عيد ميلاد سعيد يا سيد ليون.

التفت براندت بعد ذلك إلى أحد موظفيه الكبار وحوّل الأنظار عن جوان بمهارة. أما كاي التي شاهدت تعابير التشنج على وجهها فجاءت وبدأت تثرثر بكلام فارغ، وحافظت على هذا الحوار المنفرد حتى أصبح بإمكان جوان التجاوب معها. اختلط براندت ببطء مع مجموعات الموظفين، وأصبح في طرف الغرفة المقابل للطرف الذي كانت جوان تقف فيه ومع ذلك لم تكن هذه المسافة بعيدة بحيث تكفي لإزالة إحساسها القوي بوجوده.

بدا وكأن ليس في استطاعتها التنفس بحرية إلى أن ترك براندت الحفلة بعد نصف ساعة. كانت تفضل أن تترك الحفلة بعده فوراً ولكن الظروف أملت عليها أن تبقى وقتاً أطول كي لا يساء فهم دوافعها في الخروج بعده. لأنَّ الشكوك بأن هناك علاقة ما بين جوان وبراندت عادت لتبرز ثانية عند موظفي شركة ليون للمقاولات.

بعد مغادرة براندت تحلق الموظفون العازبون حول جوان، ولم تستطع أن تعرف هل انجذبوا إليها بسبب جمالها أو بدافع الفضول ليتأكدوا إذا كانت في الحقيقة من الممتلكات الخاصة للمدير. لم يكن يعجبها أحد منهم ولم تساعد نظراتهم الوقحة في تبديل رأيها بهم.

كان توم أفيرز الموظف الأكثر إلحاحاً في التقرب منها. كان ما

يزال متشبثاً بالبقاء إلى جانبها حتّى بعد انقضاء ساعة من الوقت، فأشارت إلى كاي بصمت كي تأتي لإنقاذها من هذا الموقف، فاستجابت لها بسرعة، وشاغلته ما يكفي من الوقت كي يتسنى لجوان الانسحاب.

كان الأوتوبيس الذي سيقلّها إلى بلدتها سينطلق بعد ساعة ونصف، كان لديها من الوقت ما يكفي لأن تحزم حقيبتها الصغيرة والهدايا الموجودة في شقتها وتأخذ تاكسياً إلى محطة الأوتوبيسات. ولكنَّ آخر ما كانت ترغب به هو أن يعرض توم ايفيرز أن يوصلها بسيارته. وقد توجب عليها كي تجعله يتقبل رفضها أن تكون واضحة وغير مهذبة.

ارتدت بسرعة سترتها التي ألقى بها براندت على ظهر أحد الكراسي في غرفة مكتبها والتقطت حقيبة يدها عن طاولتها، وتمهلت بضعة ثوان لتخرج منها نقوداً معدنية كي تدفع أجرة الباص. وعندما أرادت أن تدور حول طاولتها، ظهر توم إيفيرز على عتبة الباب. كان يسد عليها الطريق بجسمه الكبير والمفتول العضلات فأطلق ابتسامة مليئة بالإيحاءات:

ـ إذاً هذا هو المكان الذي هربت إليه، كان يجب أن تخبريني أنك تريدين الذهاب إلى مكان ما بمفردك. فأنا أعرف مكاناً مريحاً أكثر من هذه الغرفة.

ترددت جوان لجزء من ثانية وهي تدرك تماماً طول الممر الخالي الذي يفصل بين مكتبها والكافتيريا، ثم مشت بتصميم إلى حيث علقت معطفها. وقالت بحدة:

ـ لم أكن أبحث عن مكان لأكون فيه بمفردي، أنا ذاهبة لأمضي عيد الميلاد مع والدي ووالدتي ويجب أن أصل المحطة قبل مغادرة الأوتوبيس.

اقترب منها:

ـ سوف أوصلك إلى منزلك.

ردت جوان مشددة: كلا، شكراً لك.

فاستاء منها وقال:

ـ لا تستخدمي دور البرود هذا معي.

تطاير شرر الغضب من عينيها لثانية، ولكنها ابتلعت غضبها وحاولت أن تتخطاه بالالتفاف حوله. لم تكن عند توم ايفيرز النية في أن يدعها تمر، فتهكم وقال:

ـ ألن أحصل بدوري على عناق عيد الميلاد؟

ردّت بتعالٍ وبرود:

ـ دعني أذهب.

وقبل أن تتكهن بنواياه انطلقت يداه وأمسكتا بكتفيها:

ـ أنت تحبين أن تتمنعي في البداية، أليس كذلك؟ لا أمانع في ذلك.

كان أطول من جوان بعدة سنتيمترات ولكنه أقوى منها من دون جدال وقد شعرت بذلك وهو يجرها نحوه. قاومته بعنف كي تحرر نفسها منه وهي تشيح وجهها تجنباً لرائحة أنفاسه الكريهة.

ـ دعني أذهب!

ما كادت صرختها تنطلق من بين شفتيها حتى انفتح الباب الموصل بين الغرفتين على مصراعيه. وقبل أن يتسنى لها التعبير عن الفرح الذي أحست به لرؤية براندت، كان قد خلصها من قبضة توم المقرفة وأطاح به إلى الجدار. لم تنقطع أنفاس توم ايفيرز تماماً ونقل نظراته الشريرة بين براندت وجوان.

قال وهو يصلح من هندامه ويبتعد عن الجدار:

ـ لم أكن أدري أنّك شديد الاهتمام بها يا سيد ليون.

فأمره براندت بصوت منخفض وبنبرة متسلطة:

ـ أخرج يا ايفيرز قبل أن أدرك سهولة الاستغناء عنك!

لم يستطع ايفيرز أن يودعهما وهو يخرج متصلباً من المكتب غير بقوله:

ـ كل ما أردته هو بعض التسلية البريئة.

كانت جوان ترتجف بقوة فلفّت ذراعيها حول جسمها كي تتقي رعشة البرد التي أحست بها.

في هذا الوقت أحست بأصابع تلمس وجنتيها المحترقتين فانتفضت لا شعورياً مبتعدة عنها، ثم لاحظت أن براندت هو الذي يقف أمامها. بدا لها أن صدره يوفر لها الأمان فاستندت إليه من دون أن تعي ماذا تفعل، فأحاطتها ذراعاه برقة:

ـ هل أنت بخير يا جوان؟

تنفست الصعداء وشعرت أن حالتها قد تحسنت بسرعة وهو يضمها إليه: نعم!

فقال وهو يداعب شعرها برقّة:

ـ كان يجب أن أعرف أن الكشف فجأة عن السندريلا الجميلة التي بيننا سيجعل الذئاب تنطلق من مخابئها.

بدأت جوان تشعر بالراحة بين ذراعيه أكثر مما ينبغي.. فأبعدته عنها بلطف ورمته بنظرة امتنان.

ـ إني بخير الآن، شكراً لك.

تقلص فمه في ابتسامة لم تمتد إلى عينيه الزرقاوين اليقظتين:

ـ لقد كنت في غرفتي ولم أستطع أن أمنع نفسي من سماع ما جرى.

تنهدت جوان وهي تأخذ معطفها وحقيبتها التي وقعت على الأرض خلال صراعها مع توم.

ـ إني سعيدة لأنك كنت موجوداً.

فسألها:

ـ هل عليك أن تلحقي بميعاد انطلاق الأوتوبيس أو كان ذلك

وسيلة للتخلص من ايفيرز؟

نظرت إلى ساعة يدها:

ـ كلا، سأذهب إلى بلدتي لقضاء عطلة الميلاد. والداي يتوقعان مجيئي، ولديَّ وقت كافٍ لأخذ أغراضي من الشقة وألحق بالأوتوبيس.

فأمال رأسه مستفهماً:

ـ قد يكون من الصعب العثور على سيارة تاكسي. كنت على أهبة الذهاب، هل تسمحين أن أوصلك إلى محطة الباصات؟

«أنا...» كادت جوان أن ترفض، ثم وجدت نفسها تقول لا شعورياً: نعم.

كانت الشوارع مزدحمة والكل يهرع من طرف إلى آخر في المدينة ليلحق بالفوضى السنوية لعيد الميلاد. وصلا إلى المحطة وكان قد بقي عشر دقائق من الوقت لانطلاق الباص، فرافقها براندت إلى المدخل وجاء لها بحمالٍ ليهتم بحقائبها.

وفيما كان المذياع ينادي المسافرين مدَّ لها يده ليودعها:

ـ عيد ميلاد سعيد يا جوان.

ـ عيد ميلاد سعيد يا براندت.

كانت ترغب أن تمضي معه وقتاً أطول ولكنها كانت تعرف أنها لا تستطيع، فأفلتت يده بتردد. وفيما كانت تضيع في خضم المسافرين كانت الدموع تملأ عينيها.

* * *

٦ ـ هل تريدين أن أرحل؟

مرّ عيد الميلاد الذي أمضته مع عائلتها برضى كامل.. وكان جمع شمل سعيد، مع بقاء الجميع مستيقظاً إلى ما بعد منتصف الليل.. مع أن الأطفال كبروا إلا أنهم وجدوا لعبة سخيفة في جواربهم صباح الميلاد، فوالد جوان أصر على أنه لا بد من وجود شيء من الطفولة في نفس كل واحد.

أفضل الهدايا كلها كانت حين اتصل أخوها الأكبر، كيت، صباح الميلاد من المانيا.. مرة واحدة فقط سمحت جوان لنفسها أن تتساءل كيف يمضي براندت العطلة.. على الأرجح مثلها مع والديه.

مع انتهاء فترة الميلاد يوم الأربعاء، عادت إلى العمل يوم الخميس.. وما عدا سؤال عرضي: «هل تمتعت بالميلاد؟» كانت تصرفات براندت عملية كالعادة.. لكن ليس كالعادة حقاً كما أعادت جوان التفكير، فقد بدا متكباً على التعويض عن وقت العطلة.

في يوم الجمعة، وفي وقت متأخر من بعد الظهر، أحست وكأنها عملت أسبوعاً كاملاً خلال يومين. مع ذلك لم تكن تتطلع شوقاً لنهاية الأسبوع. سيكون أمامها الكثير من الوقت للتفكير المتكاسل، ولسوف تفضل أن ترهق نفسها عملاً بدلاً من التفكير بمصير حب غير منكافىء.

كان فقدانها للتركيز قصيراً، بتنهيدة متعبة، بدأت تصلح الأصل والنسخ الثلاث في العقد الذي تطبعه.

وهي تصحح النسخة الثالثة، رن جرس الهاتف، وطلب صوت

www.elromancia.com

أنثوي ناعم منخفض:

ـ براندت ليون، أرجوك؟

وضعت جون السماعة تحت ذقنها وهي تتابع التركيز على ما تفعل:

ـ أنا آسفة، لكن السيد ليون في اجتماع. هل أطلب منه إعادة الاتصال بك؟

ـ هل أنت سكرتيرته الخاصة؟

ـ أجل.. أنا كذلك.

ـ ربما تستطيعين مساعدتي.. أنا أنجيلا فار.

جمدت يد جوان.. وأكمل الصوت:

ـ لدى براندت تذاكر لحفلة موسيقية مساء الغد هل تعرفين لأي عرض هي؟ والداي مصران على أن ينضم إلينا للعشاء ولا أعرف ما إذا كان من الأفضل تناول العشاء قبل أو بعد الحفلة.

اخترق السؤال وعي جوان.. لكنها لم تكن قادرة على الرد فوراً. كان هناك برودة موت في أحاسيسها وهي تفكر إلى أي مدى يناسب الصوت المنغّم الرقيق، الشقراء الناعمة.

ارتجف صوتها قليلاً، حسداً وسخطاً.

ـ أنا آسفة آنسة فار.. فالسيد ليون يهتم بشؤونه الخاصة بنفسه.. وليس معي المعلومات التي تطلبينها.

سمعت تنهيدة أسى:

ـ هل تقولين له إنني اتصلت وتطلبي منه أن يتصل بي حين يكون حراً!

ردت جوان بجفاء: طبعاً.

ـ رقمي معه، وشكراً على أي حال.

لزمها كل قوة إرادتها لتمنعها من صفق السماعة في أذن الشقراء.

لم تكن جوان بحاجة إلى من يشرح لها أن الأمور كانت تأخذ طابع

الجدية بين براندت وانجيلا إذا بدأ بتناول العشاء مع أبويها.. مدفوعة بإحباط مفاجيء، هاجمت العقد على الآلة الكاتبة تحدث ثقباً في النسخة الثالثة.. وانتزعت العقد كله عن الآلة لتبدأ بطبعه مجدداً.. كادت أن تنهيه حين عاد براندت من الاجتماع، مع مراقبي مشروعه.. وكانت أول كلماته لها:

ـ هل أنهيت عقد هادلي؟

ردت بصوتها الغاضب المتزمت: تقريباً.

عبس براندت متعباً:

ـ ظننت أنك أنهيته.

ـ قاطعتني مكالمات هاتفية.

كانت الرسائل الهاتفية على طاولتها، والتقطها براندت لينظر إليها.. رأت جوان أنه تردد قليلاً عند وصوله إلى الملاحظة عن مخابرة انجيلا.

بسرعة التقطت نظرته نظرتها المراقبة:

ـ الآنسة فار اتصلت؟

ـ منذ عشرون دقيقة.. كانت متلهفة لتعرف إلى أي عرض موسيقى حجزت التذاكر.

طافت عيناه على وجهها، ثم عادتا بحدة إلى الرسائل وهو يستدير ليذهب:

ـ ادخلي لي العقد حال أن ينتهي.

أنهت جوان العقد ووضعت النسخات وثبتتها معاً في غضون دقائق.. سارت نحو الباب المشترك وأدارت يدها المقبض لحظة قبل أن تدق، ووصلها صوته قبل أن ينفتح الباب. كان يقول بشراسة:

ـ انجيلا.. يجب أن أطير إلى بيوريا غداً.. ولو كنت قادراً على إرسال بديل عني لفعلت.

ثم ساد صمت كانت انجيلا خلاله ترد على كلامه.. وكان على

www.elromancia.com

جوان أن تقفل الباب مجدداً وتنتظر إلى أن ينهي براندت المكالمة.. لكنها عصت الواجب وسمعته يسأل بحدة ساخطة:

ـ لو كنت أظن أنني سأعود في الوقت المناسب، لما ألغيت خططنا. أليس كذلك؟ والدك رجل أعمال وأنا واثق أنه سيفهم.. انجيلا، لن أجادلك. لدي مخابرات أخرى أجريها.. سنناقش المسألة الليلة.

سمعته يعيد السماعة مكانها، فدقت بخفة على الباب. حين دخلت مكتبه، كانت السماعة في يده مرة أخرى وهو يطلب رقماً آخر. نظر إلى العقد الذي وضعته على طاولته وهز رأسه امتناناً.

ـ غرايغ ستيفنز، رجاء. هنا براندت ليون، أود مكالمته.

أقفلت جوان الباب المشترك خلفها، لا تشعر بأي ابتهاج من معرفتها أن براندت لن يلتقي بوالدي انجيلا غداً لأنه سيراها الليلة.

كانت نهاية الأسبوع كلها سوداوية بالنسبة لها.. حتى صباح الاثنين المشرق بأشعة الشمس لم يطرد منها ظلال الاكتئاب. وأمضى براندت أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء، مع أحد موظفي التخمين لديه ولم تستطع جوان أن تعرف أكانت سعيدة أم حزينة برؤيته أكثر..

كانت جوان تتمدد متكاسلة في مغطس مليء بالرغوة حين نادتها كاي أنها وجون خارجان وتمنت لها جوان وقتاً طيباً، ثم أحست بالصمت يزحف على الشقة وتنهدت بعمق مقررة أنها ستعتاد على قضاء أمسية السنة الجديدة لوحدها.

كانت كاي قد اقترحت تدبير موعد لها لهذه الأمسية مع أحد الرجال الذين يعمل جون معهم.. لكن جوان رفضت الاقتراح فوراً.. فلم تضغط عليها للقبول، فمنذ حفلة المكتب عرفت أن كاي خمنت جزءاً مما يحدث، مع ذلك ترفض أن تبكي على كتف أحد.. فلطالما وقع الناس في حب الشخص غير المناسب وتغلبوا على خيبتهم.. ولسوف تفعل هي كذلك.. مع الوقت.

أصبح الصمت ضاغطاً، فوقفت جوان تغسل فقاقيع الصابون عن بشرتها لتخطو إلى خارج المغطس.. بعد تنشيف نفسها بحدة، ارتدت روبها الأخضر الزيتوني الذي كان هدية والديها لها في الميلاد، في غرفة الجلوس والطعام المشتركة، أدارت التلفزيون الصغير الذي أقرضه لها أخوها في مدة غيابه في المانيا.. دون وعي، لم تغير المحطة من لعبة كرة القدم المعروضة.. فهي لا تريد سوى صوت يملأ صمت الشقة.

وهي تحضر قطعة مليئة بالبوب كورن مع الزبدة، تساءلت ما إذا كان براندت وانجيلا يحتفلان بوصول السنة الجديدة لوحدهما أم مع مجموعة.. وصفقت باب البراد وهي تحاول إبعاد كلتا الصورتين عن تفكيرها.. مع كوب «كولا» في يد وقصعة البوب كورن متوازنة على الأخرى رجعت إلى الأريكة أمام التلفزيون.

وضعت كتاباً على ركبتيها، وبالكاد استقرت بارتياح على الوسائد حين سمعت وقع أقدام لشخص آخر مجهول يمضي أمسية رأس السنة لوحده مثلها. ثم فكرت بأسى أنه قد يكون على موعد مع شخص آخر. صحيح أن الساعة الآن التاسعة إلا أن بعض الحفلات لا تبدأ سوى في وقت متأخر.. وهي تفكر مضت لحظات لتدرك أن الدق الذي تلا كان على بابها.

قطبت حيرة ووضعت الكتاب على الأريكة قربها لتسير حافية القدمين إلى الباب. تركت السلسلة معلقة وفتحت الباب بضع إنشات بما يسمح برؤية الزائر غير المتوقع.. ثم دارت الدنيا من حولها بجنون للحظات.

رفرفت عينيها بسرعة لتتأكد أنها لا تتخيل الأشياء: براندت؟

ـ هل لي أن أدخل؟

وتعثرت جوان بالسلسلة، تفتح الباب وتتراجع، لا تزال تتوقعه أن يختفي في أية لحظة. كانت قد رأته كثيراً في ثياب سهرة وبذلة عمل،

www.elromancia.com

لكنها لم تره أبداً يرتدي ثياباً عادية كما الليلة. . معطفه كان معلقاً على كتفه بإصبعه. . الكنزة الكشمير بلون الأزرق تناسب لون عينيه تماماً اللتان تدرسانها بشكل مثير للاضطراب. .

قال، يتوقف داخل الباب ويقفله وراءه:

ـ رأيت النور في شقتك من الشارع وتساءلت عما إذا كنت في المنزل.

ردت بغباء:

ـ أجل. . أنا هنا.

لم تصدق أنه هنا. . لا بد من وجود سبب منطقي لوجوده.

ـ أهناك مشكلة. . في المكتب؟

كان على تعابيره مسحة حزن غريبة: لا.

ببطء، تجاوزها ليقف أمام التلفزيون:

ـ هل هي مباراة جيدة؟

ـ أنا. . لا أعرف. لقد أدرته منذ دقيقتين فقط.

رمى معطفه على ظهر الأريكة:

ـ أتمانعين لو شاهدتها معك؟

أحست برغبة مجنونة للضحك:

ـ لا. . لست أمانع.

ارتبكت مشاعرها وتشوشت، وعادت جوان إلى مكانها مترددة في الجهة الأخرى من الأريكة. . هل تشاجر هو وانجيلا؟ يبدو أن من المستحيل أن يكون في شقتها لو لم يتشاجرا. . لكن لا يمكنها التفكير بسبب آخر لوجوده. . نظرت إليه خلسة عبر رموشها. . كان يحدق في التلفزيون متجاهلاً وجودها.

سألته:

ـ أترغب في شيء من البوب كورن وقليل من الكولا؟

بدا وكأنه بشدّ نفسه من مكان بعيد، ونظر إليها للحظة:

ـ أجل. . أرغب.

حين عادت إلى الأريكة وكوب الكولا معها، كان براندت يتناول البوب كورن. . شكره الهادىء لها تركها دون تشجيع. . وبدا لها غير راغب في المشاركة في أي حديث عادي. . ولم تستطع أن تعرف ما إذا كان صمته مرده الاهتمام باللعبة أم بسبب حدث مجهول سبق وصوله إلى شقتها. . كانت تميل أكثر إلى التفكير بأن السبب الأخير هو الصحيح.

سألها فجأة:

ـ هل تمتعت بزيارة أبويك في الميلاد؟

تشنتت شجاعتها. . ولزمها لحظات لتعيد جمعها، لتجيب وهي تتلاعب بزوايا كتابها:

ـ أجل. . كثيراً. اتصل بنا أخي من المانيا صباح الميلاد، وأظن هذا كان أفضل هدية وصلت لأمي.

ـ أكان هذا أول عيد ميلاد لا تجتمع فيه عائلتك كلها؟

نظرت إليه بدهشة:

ـ أجل. . وكيف عرفت؟

ـ من النبرة الحزينة في صوتك. . كنت سعيدة لسماع صوته مثل سعادة أمك. . لا بد أنك كنت مقربة منه.

ـ هذا صحيح. . كنا قريبين جداً إلى أن بدأ كيث يدخل مرحلة مراهقة. . لكن هذا لم يدم طويلاً.

ترددت قليلاً لا ترغب في أن يموت الحديث:

ـ أعتقد أنك أمضيت الميلاد مع أبويك.

ـ أجل. . لكن أختي «فينيتا» لم تستطع الحضور. . ولو أنها اتصلت، لكن لسوء الحظ قبل وصولي.

ـ لقد صنعت أمي كل أنواع الحلوى. .

أسندت رأسها على ظهر الأريكة.

www.efromancia.com

ـ . . ولا شك أنني زدت خمسة أرطال في يوم واحد!

ـ ألم يتمكن أيد أن يأتي لأمسية العام الجديد؟

ـ لا .

ارتفع حاجباه دهشة :

ـ واخترت قضاء ليلة رأس السنة الجديدة لوحدك؟

ـ ليس هذا بالضبط . . لم يكن لدي عروض أرغب في أن أقبلها . وماذا عنك؟ كنت أظنك والآنسة فار خططتما لهذا المساء .

مد يده لحفنة من البوب كورن، وتعبير غامض في نظرته . . كبتت أنفاسها تنتظر الرد تتساءل ما إذا كان يجب أن تسأل .

ـ أتمانعين لو لم نبحث أمر انجيلا الليلة؟

إذن لقد تشاجرا . . وتنفست جوان عميقاً :

ـ أنا لم أرغب حقاً في الكلام عنها . . كنت أعجب فقط لأنك هنا بدلاً من أن تكون معها تحضران حفلة ما .

ـ اكتشفت أنني أرغب في صحبتك .

تحولت الخطوط حول فمه إلى ابتسامة للنظرة غير المصدقة في عينيها البنيتين :

ـ لا تظهري دهشة هكذا جوان!

ابتلعت ريقها بشدة :

ـ لا أستطيع منع نفسي . . لماذا؟

ضحك بنعومة يقترح بسخرية :

ـ إذا لم أكن لرؤيتك فلماذا أنا هنا؟

لم يكن هناك سبب آخر تستطيع جوان أن تفكر به، خاصة وأن من الواضح أن براندت لم يأت إلى هنا لمناقشة عمل ما . . هكذا لم ترد، وكان في صمتها الرد المؤثر .

مع ذلك لم تستطع الخلاص من الإحساس بأن شجاراً ما مع انجيلا هو السبب غير المباشر لمجيئه إلى شقتها . . وهي لا ترحب في أن

تُستغل كوسيلة سلوى أو انتقام، أو مهما كان السبب الحقيقي .

الصمت الذي ساد لا يمكن أن يوصف بأنه ودي . . كان مقعد واحد فوق أريكة يفصلهما لكن، بالنسبة لأعصاب جوان المتشوشة، لم تكن هذه المسافة كافية . حين بدأت نشرة الأخبار المتأخرة، جلست تستمع لأخبار العالم والطقس والمحليات، لكنها وقفت مع الأخبار الرياضية .

جلبت حركتها نظرة تساؤل فورية من براندت . . فقالت تشرح بسرعة :

ـ فكرت أن أنظف مقلاة البوب كورن والزبدة . أترغب في قليل من الكولا .

أعطاها كوبه : أرجوك .

بينما كانت المياه تجري في المغسلة، أعادت ملء الكوب وحملته له . . متمنية لو كان لديها مغسلة مليئة بالصحون . . وهي تغسل آخر الأطباق، دخل براندت ورائها بخفة القط ليأخذه من يدها، بعد أن كاد يقع من يدها دهشة .

ضحكت مرتجفة :

ـ أنا . . ظننت أنك لا زلت على الأريكة .

ـ أترغبين في المساعدة؟

ـ لا . . فهذا آخر الصحون .

لم يعد براندت إلى الأريكة، وبقي قرب رف المغسلة . ارتجفت يداها قليلاً تحت نظرته المتفحصة وهي تنهي التنظيف بدقة . . ثم سأل :

ـ هل عشت طويلاً في هذه الشقة؟

ـ ثلاث سنوات تقريباً . انتقلت إليها أنا وكاي بعد وقت قصير من العمل عندك، كل منا كان يعيش في شقة مفروشة لا يستطيع أي منا تحمل إيجارها، وكانتا بعيدتين عن مكان عملنا . حين رأينا الإعلان عن

www.elromancia.com

هذه، تجاهلنا معارضة أهلنا وانتقلنا إلى هنا.

ـ ومتى ستتزوج كاي؟

ابتسمت:

ـ أوه، إنها ستتزوج في حزيران.

ـ وماذا ستفعلين؟

ـ أتوقع أن أجد لنفسي شريكة جديدة.. مع أنني أشك في أن أجد من أعيش معه بسهولة مثل كاي.

ـ ولا حتى صديقك؟

نظرت إليه بدهشة ساخطة فسارع يقول:

ـ كنت أشير إلى زواجك المرتقب بذلك الشاب، أيد.. بالتأكيد هذا أمر ممكن، أليس كذلك؟

ابتلعت جوان الغضب المتفجر الذي تصاعد إلى حلقها لتفسيرها الأول لسؤاله، وردت:

ـ إنه أمر من غير المحتمل حدوثه.

ـ إذن لم يكن «السيد المناسب»؟

بدا الغضب في عينيها وهي تستدير لتواجهه:

ـ أتمانع إذا لم نبحث أمر أيد؟

تعمدت استخدام ذات الجملة التي رفض فيها الحديث عن انجيلا.. وأشار اللمعان المتألق في عينيه إلى أنه لاحظ غضبها.

مع تنظيف الصحون والمغسلة، حاولت جوان أن تعود إلى الأريكة، لكن يده أمسكت بكم الروب بخفة، فأجفلها وكأنها لامست تياراً عالي التوتر.

ـ يعجبني روبك.. هدية ميلاد؟

كانت نار زرقاء من عينيه تحرق جسدها.

ـ من والداي.

ابتعدت يده.. لكن تنفسها لم يعدّ إلى طبيعته.. ووجهت قدميها

غير الراغبتين إلى التلفزيون لتغير القناة من احتفال بالسنة الجديدة إلى أخرى تعرض فيلماً قديماً.. وهي تستدير عن التلفزيون، كان براندت يقف خلفها يسد طريقها إلى الأريكة، ونظرة مراقبة في عينيه.

ـ أتريدين أن أرحل جوان؟

أوه.. يا الله.. إنها لا تريده أن يرحل أبداً. إنه سؤال غير عادل أبداً.

فتشت عن رد لائق، وقالت:

ـ أرحب بك أن تبقى قدر ما تريد.

سألها بجفاء:

ـ يجب أن تعيدي صياغة هذا الرد.

قفزت نبضاتها إلى حلقها، وطغت عليها موجة حرارة لونت خديها.. أبعدت نظرها بسرعة عن نظرته المثيرة للاضطراب.

ـ عنيت فقط إن بإمكانك البقاء لفترة أطول إذا أردت.. لكن هذا لا يضعك تحت أي التزام كي تبقى.

ـ لا تكوني متحمسة هكذا.

ـ حسناً، ماذا تريدني أن أقول؟

رد ساخراً:

ـ هذا يتوقف على من تطرحين السؤال.

اتجهت عيناها إلى كل مكان عداه:

ـ لست أرى ماذا تعني.

قال بهدوء:

ـ إذا كنت تسألين رئيس شركة ليون للإنشاءات، فرده سيكون الرحيل فوراً.. من ناحية أخرى سيقول براندت ليون.. سأبقى إلى أي وقت تسمحين فيه. هل فهمت الآن ماذا أعني؟

هزت رأسها بغضب:

ـ لا.. لا.. لا أعرف ماذا تعني! أنت تتكلم بالألغاز وأنا لم أكن

www.elromancia.com

يوماً جيدة في حلها.

سارت حوله، خائفة من أن تكون حالة قلبها المشوشة قد جعلتها تقرأ في كلامه أكثر مما يعني.. وانطلقت يده لتمسك معصمها وتشدها إلى الخلف.. وتمتم:

ـ إذن دعيني أعطيك فكرة.

اندست يده الأخرى تحت شعرها الطويل ترفع رأسها إلى الخلف.. واستكانت له كونها ضحية يائسة لحبها. جعلتها النار المنطلقة بسرعة في شرايينها مطواعة مع لمسات يديه..

لم يعد للزمن أي قياس وهي بين ذراعيه، مسترخية. لكن ذكرى رفضه السابق لها عادت إليها.

لم يشك براندت أن سبب تحركها هو تحرير نفسها من ذراعيه. كانت أطرافها المرتجفة تهدد بأن لا تدعمها وهي تقف قرب الأريكة.. كانت عيناها البنيتان يغشاهما الحب وهي تستدير مبتعدة.. تمتمت:

ـ أنا.. سوف.. أحضر القهوة.

لكنها لم تصل إلى رف المطبخ، فاليدان المندستان بنعومة حول خصرها أوقفتاها فجأة. وتنفست بحدة لكنها لم تحاول نزع يديه عن خصرها.

تمتم بخشونة:

ـ لا أريد القهوة.. ولا الشاي.. أو الكولا أو أي شيء من هذا.. كل ما أريده هو أنت..

همست: براندت.

أدارها ضغط يديه إليه.. دونما إرادة منها، انزلقت يداها حول عنقه، وعلقت في التيار الخفي لحبها.

استدار مفتاح في الباب.. اخترقت صيحة «أوه!» وعي جوان بعد لحظة من استعادة براندت وعيه.

أبعدت يديها عن عنقه، وأحست بخفقات قلبه المضطربة

وأصابعها تمر على صدره.. كانت لا تزال لم تخمن تماماً سبب الصوت، وارتفعت عيناها إلى وجهه.. كانت نظرة عينيه الغاضبتين الباردتين موجهة نحو الباب.. فاستدارت بحيرة.

وجدت كاي محمرة الوجه ومعها جون ينظران إليهما، مسمران عند الباب تماماً.. كطفل ضبط يلعب بالكبريت، خطت جوان مبتعدة لمسافة آمنة عن عيني براندت.. يداها خلف ظهرها وكأنما لتخفي دليلاً ما.

تمتمت كاي:

ـ أنا آسفة جوان.. لم أكن أعرف أن.. أحداً.. قد يكون هنا.

أكملت جوان في نفسها: وعلى الأخص براندت ليون.. وتحولت وجنتاها إلى لون قرمزي قاتم حرجاً.. ثم تنفست بارتجاف وقالت:

ـ لا بأس في هذا.

تكلم براندت بخشونة يرمي جون بنظرة ثاقبة:

ـ أجل.. كنت على وشك المغادرة.

قادته خطواته الواسعة بسرعة إلى الأريكة، حيث التقط معطفه ليعطي التأكيد لكلامه.. ولم يكن هناك شيء يمكن لكاي وجون أن يفعلاه سوى الدخول إلى الشقة أكثر والاعتذار الصامت لا زال في عيني كاي.

سأل براندت:

ـ هل ترافقيني إلى الخارج جوان؟

ترددت جوان جزءاً من الثانية:

ـ أجل.. بالطبع.

وتحركت بارتباك إلى جانبه.

لم يتوقف براندت بالباب المفتوح بل تابع إلى الرواق الخارجي ومد يده خلفها يقفل باب الشقة خلفهما.. نظرت إلى السجادة تحت قدميها وقد أخذ الصمت بينهما يؤثر على معدتها.. كان براندت يبعد

www.elromancia.com

عنها عدة أقدام.. لكنها كانت تحس بعينيه الكبيرتين تتفحصانها.

ـ هل تأتين معي؟

أوقف سؤاله الهادىء الصارم قلبها لحظة.. لكنها قالت:

ـ إلى أين؟

لم يرد على الفور.. بل انتظر إلى أن نظرت إليه: إلى شقتي..

ـ لا.

ولم تثق بنفسها كي تضيف المزيد.

تنهيدته فتحت الجروح في قلبها وهو يسأل: لماذا؟

استدارت عنه تماماً:

ـ جنون منك أن تأتي إلى هنا الليلة.

لم تستطع الرد المباشر على سؤاله.. لم تستطع أن تشرح له أنها لا تريد أن تكون وسيلة يخفف فيها تأثير الجرح الذي لا شك أن انجيلا سببته له.. كانت تعرف أن هذا هو الدافع الوحيد له ليغازلها.

ـ إذن.. لماذا لم تطلبي مني الرحيل؟

ضحكت بمرارة:

ـ وكيف يمكن أن أفعل؟

ـ بأن تردي صادقة حين سألتك.

حرقت لذعة الدموع عينيها وهي تجبر كلمات ساخرة على أن تخرج من فمها:

ـ كيف يتمكن أي إنسان أن يأمر رب عمله بأن يخرج؟

جعلت اللامبالاة في صوته كلماته أكثر إيلاماً:

ـ ظننتك مختلفة.. ظننت أن هناك شعلة إنسانية فيك.. لكنك جشعة مغرورة مثل غيرك.

ـ لماذا؟ لأنني لم أرغب في أن أفسد عملي؟

رد بازدراء:

ـ هل كنت خائفة أن تفقدي عملك، أم أنك رأيت وسيلة للاحتفاظ به؟

همست:

ـ لا تحاول وضع نفسك في مصاف أرفع منا جميعاً، فأنت لم تكن أفضل مني. دوافعك لمغازلتي كانت لتنتقم من انجيلا.. كنت أنا مجرد وسيلة للانتقام.

رد:

ـ وماذا كنت أنا..؟ بديلاً عن أيد؟

لم تقل جوان شيئاً.. كان قلبها يتمزق إلى آلاف القطع وكأنه شظايا زجاج.. كان يمكن أن تتحمل عدم اكتراثه، لكن بعد هذه الليلة سوف ينظر إليها بكراهية لظنه أنها خدعته.

أمسكت يديه كتفيها، وأدارها إليه ليمسك ذقنها بشدة، لينظر إليها لحظات. ثم تركها والألماس الأزرق في عينيه يخترقها حتى الصميم.

قال ساخراً:

ـ عام سعيد جوان.

ثم سار في الرواق مبتعداً.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ أتركني أهرب

عندما عادت جوان إلى العمل بعد عطلة رأس السنة، كان الجو كثيفاً بصورة بدا معها أنه يمكن قطعه بالسكين. بدا براندت ظاهرياً وكعادته دائماً مهتماً فقط بالعمل ولكن عينيه كانتا تحملان شيئاً من التأنيب كلما نظر إليها، مع أنّه لم يكن ينظر إليها كثيراً.

أدركت جوان في نهاية اليوم الأول أن الوضع أصبح لا يحتمل. ولم تجد سبباً لتأجيل استقالتها، فلا شك أن براندت سيكون سعيداً لرؤيتها تترك العمل.

تعاطفت كاي معها عندما أعلمتها بقرارها. وكانت الفتاتان قد ناقشتا الوضع بالتفصيل خلال العطلة، فقد عارضت كاي بشدة عودة جوان إلى العمل في اليوم الثاني من شهر يناير. وأصرت عليها أنه ليس من الضروري أن تقدم لبراندت إنذاراً بترك العمل بعد أن استغلها بطريقة حقيرة في محاولة لإرضاء نزواته، وهي لن تجد صعوبة بالمؤهلات التي تملكها في العثور على عمل جديد في شركة أخرى، وقد أكدت لها كاي أنّ راتبها سيكفيهما كليتهما إذا لم تعثر على عمل.

لكن جوان تشبثت برأيها وأصرّت على أنّه يجب أن تعطي براندت إنذاراً قبل أسبوعين من تركها العمل، إلا في حال استطاعت تدبير بديلة مناسبة عنها خلال ذلك الوقت. وفي النهاية تقبلت كاي قرارها على الرغم من تأكيدها أن جوان على خطأ.

كان في نيّة جوان أن تكتب رسالة الاستقالة فور وصولها إلى المكتب في الصباح ولكن ما إن دخلت مكتبها حتى بدا أن هناك أكثر من مئة عمل يريدها براندت أن تقوم به وبسرعة بالغة. ولم يتسنّ لجوان لحظة فراغ واحدة حتى حانت ساعة تناول طعام الغداء فطبعت الرسالة ووقعتها وانتظرت الفرصة لتقديمها لبراندت. ولكنها نسيت تماماً الاجتماع الأسبوعي الذي يعقده مع رؤساء الأقسام، فقد انتهى دوام العمل وهو ما يزال في الاجتماع. وتكرر الأمر نفسه في يوم الجمعة.

بقيت رسالة الاستقالة في حقيبة يدها طوال عطلة الأسبوع. وفي يوم الاثنين دخلت المكتب بهدوء المستسلم لقدره وهي مصممة على أن يكون أول عمل تقوم به هو تقديم الاستقالة إلى براندت، فحملت البريد الوارد ودفتر المواعيد اليومي ورسالة الاستقالة المهمة جداً لها وقرعت على باب غرفته ودخلت عندما دعاها.

وجدت براندت يتكلم على الهاتف وأشار إليها بالجلوس، فأخذت مقعداً مواجهاً لطاولته ووضعت استقالتها فوق الأوراق وهي تريد الانتهاء من تلك المسألة قبل كل شيء. وانشغل عقلها بكل التفسيرات التي فكرت بها، وهكذا لم تعر انتباهاً للمحادثة الهاتفية التي كان يجريها عندما وضع سماعة الهاتف.

أخذت جوان نفساً عميقاً وهي تتحضر للخطاب الذي ستلقيه عليه، ولكنه لم يتسنَّ لها أن تفتح فمها.

سألها براندت وقد نهض عن مقعده:

ـ هل هناك أي شيء هام في البريد يستوجب التعامل معه فوراً؟

أطبقت أصابعها على رسالتها وقالت:

ـ كلا، ولكن...

قاطعها وسار إلى حيث معطفه:

ـ الغي كل مواعيدي لهذا اليوم. إذا احتجت لي سأكون في موقع شارع شالمرز.

تمتمت جوان من دون وعي وهي تمسك رسالة الاستقالة بشدة أكثر: ماذا؟

أجابها:

ـ كان لانغ على الخط الآخر للهاتف. فلقد طرأ عطل على أحد مصاعد الخدمة، وسقط إلى الدور الأرضي وقد حجز بداخله اثنين من العمال.

نهضت عن مقعدها ولحقت بيراندت الذي خرج من المكتب، ونسيت كل ما يتعلق برسالة استقالتها.

ـ هل إصابتهما خطرة؟

فأجابها وهو يرتدي معطفه ويفتح باب المكتب الخارجي:

ـ أحدهما فقد الوعي ويبدو أن الآخر كسر ساقه. لا أظن أنه يمكنني العودة إلى المكتب اليوم. عندما ننتهي من إنقاذ الرجلين، سأعقد اجتماعاً أنا وبوب مع مفتشي السلامة، إن بوب على اتصال بهم الآن.

لم تتذكر جوان أنها لم تقدم استقالتها إلا بعد أن ذهب براندت وعادت لتجلس إلى مكتبها وتقوم بالاتصالات الهاتفية الضرورية لإلغاء مواعيده. بدا أن القدر يتآمر عليها فهي لا تريد مزيداً من الوقت لتعيد التفكير في قرارها.

علمت جوان صباح الثلاثاء أن أحد العمال أصيب بارتجاج في المخ والآخر كسر ساقه. وقد قام براندت بزيارة خاطفة إلى المكتب ثم عاد إلى موقع العمل، وهكذا بقيت الرسالة مغلقاً عليها داخل الجارور.

وصلت جوان صباح الأربعاء إلى المكتب ولكنها لم تجد براندت هناك. وتر هذا الانتظار الطويل أعصابها بقوة. ومرة أخرى وضعت رسالة الاستقالة مع البريد الوارد ومع دفتر المواعيد استعداداً لوصول براندت. دخل براندت المكتب عندما كانت جوان تتكلم على الهاتف،

فانقبض قلبها بشدة وهي ترى خطوط التعب والإعياء محفورة على وجهه القوي. وقف إلى جانب طاولتها منتظراً أن تنهي مكالمتها ثم قال لها:

ـ سيحضر بوب لانغ إلى المكتب بعد عشر دقائق. أريد لايل بابنز في مكتبي كي نراجع أنا وبوب معه التقارير التي وردت عن سلامة الموقع. أكدي عليه أن يكون حاضراً.

ذكرته جوان بسرعة:

ـ من المفترض أن يراجع السيد كونالي الحسابات معك هذا الصباح.

فظهر على وجهه المهموم عبوس يدل عن نفاد صبر:

ـ لقد أجلت هذا الموضوع إلى ما بعد الظهر.. اهتمي بإحضار بابنز.

التقطت جوان سماعة الهاتف واتصلت بمكتب بوب ورأت براندت بطرف عينها وهو يلتقط البريد ودفتر المواعيد ويحمل معهما رسالة استقالتها المحشورة بينهما.

قالت جوان بسرعة وهي تسمع جرس الهاتف الآخر يرن:

ـ سأراجع هذه الأوراق معك بعد دقيقة.

فرد عليها وهو يتجه نحو باب غرفته:

ـ لن يكون ذلك ضرورياً.

في هذه اللحظة جاء رد بابنز على الهاتف فلم تتمكن جوان من إيقاف براندت. كان في نيتها طيلة الوقت أن تسلمه استقالتها بداً بيد لا أن تدعه يجدها ضمن بريد الصباح. وحالما انتهت من تبليغ لايل بابنز طلب براندت، نهضت بسرعة عن مقعدها لتحاول استرجاع رسالة الاستقالة قبل أن يعثر براندت عليها، ولكن القدر عاندها ثانية لأن جرس الهاتف رن عندها وأعادها إلى مكانها، فأخذت تدون الرسالة الطويلة فيما أعصابها كانت تتمزق من الإحباط. دخل بوب لانغ ولايل

باينز المكتب في الوقت الذي رنّ فيه جرس الهاتف الداخلي، فردت جوان مرغمة، وقالت بسرعة:

ـ وصل السيدان لانغ وباينز لمقابلتك.

كان الغضب المكتوم واضحاً جداً في نبرة صوته الذي أتى عبر المذياع:

ـ أخبريهما أن يعودا بعد نصف ساعة.

لم تحتج جوان للتكرار لأنَّ الرجلين كليهما سمعا هذا الأمر، ووافقا بإيماءة صامتة من رأسيهما. وبعدما غادرا أرغمت على الامتثال لأمر براندت لها وأحست أن التشنج قد قلّص عضلات معدتها.

أقفل براندت باب مكتبه خلفها ثم أشار إلى رسالة الاستقالة الموضوعة على الطاولة وقال بنبرة باردة وقوية:

ـ أريد تفسيراً لذلك يا جوان.

لعقت شفتيها الجافتين بعصبية:

ـ أنا آسفة، كنت أنوي أن أسلمك إياها شخصياً هذا الصباح.

ـ أنها مؤرخة يوم الخميس الفائت، ألم تستجمعي الشجاعة لتسليمها لي حتى الآن؟

هزت ذقنها قليلاً:

ـ كنت سأسلمك إياها يوم الخميس لو لم تكن في الاجتماع طيلة بعد الظهر، ولم أرغب بتركها لك لتجدها بعد أن أغادر، لقد كنت منشغلاً جداً، وفي الواقع كنت خارج المكتب.

خبط بالرسالة على الطاولة دلالة على نفاد صبره:

ـ لم توضحي لي الأسباب التي دفعتك لتقديم استقالتك.

غضت نظرها إلى الأسفل نحو الطاولة، تهرباً من نظراته النافذة. بدأت الحرارة تدب في وجهها وتمنت لو تذكرت أن تضع نظاراتها كي تحمي عينيها من تفحصه لهما، ثم تمتمت:

ـ لقد اعتقدت أن الأسباب واضحة.

رد عليها بلطف:

ـ ليس بالنسبة لي.

ـ أنت لا تتوقع مني أن أتابع العمل عندك بعد... بعد...

تحولت هذه المقدمة إلى همسات محرجة. أطبقت أصابعها في قبضة عاجزة واستدارت بزاوية حادة مبتعدة عن طاولته، فحثّها على إكمال جملتها: بعد ماذا؟

أنهت جوان جملتها بتوتر:

ـ بعد حادثة تلك الليلة.

ـ عن أي ليلة تتكلمين؟

انفجرت غاضبة لتعمده البلادة:

ـ أنت تعرف جيداً ما أعني، ليلة رأس السنة.

فمال براندت على كرسيه إلى الوراء بخفة وعدم تكلف.

ـ كنت قلقة في تلك الليلة من إمكانية خسارتك الوظيفة، والآن أنت تنوين التخلي عنها. وإذا أخذت بالاعتبار الجهد الذي كنت مستعدة لبذله كي تحافظي على وظيفتك لفهمت سبب حيرتي الآن.

فأكدت له جوان:

ـ تغيير الرأي هو امتياز للنساء؟

ـ هل يوجد في جعبتك عمل آخر؟

ـ لا أستطيع بكل ضمير أن أبحث عن عمل آخر قبل أن أسلمك الاستقالة.

فرفع حاجبيه متسائلاً:

ـ أفترض أنك تريدين استعمال اسمي للتوصية بك.

رفعت رأسها وقد أخذها الكبرياء:

ـ أعتقد أن عملي هنا كان مرضياً جداً.

ابتسم براندت بمرارة:

ـ أكثر وأبعد مما يتطلبه الواجب.

www.elromancia.com

صرخت به جوان بمرارة بسبب إيحاءات كلامه المبطنة:

ـ هل تكف عن جعلي أبدو وكأنني أنا هي الرخيصة والحقيرة؟

ظهرت على وجهه ثانية تلك الابتسامة التي لا ترحم.

ـ أنت كنت البادئة، وأنت من سمح لي بأن أعانقك من دون أي اعتراض وليس في المرة الأولى فقط. بكل صراحة، هل كنت تتوقعين مني أن أتجاهل دعوتك لي؟

فاعترضت بتردد:

ـ أنا.. أنا أعتقد أنك كنت على خطأ.

وفيما كان ينحني للأمام ليلتقط رسالة الاستقالة قال:

ـ أحقاً ما تقولين؟ أنا أكثر منك خبرة يا جوان، وأعرف إن كانت المرأة هي البادئة بالعناق أم لا. لقد تركت خيالك يذهب بعيداً، وأنا لست على استعداد كي أخسر سكرتيرة جيدة لأنك وبكل بساطة تكونين أحياناً غبية.

قطعها لسانه الحاد إلى شرائح فأجابت:

ـ لقد أعطيتك إنذار أسبوعين.

اهتزت زاوية فمه:

ـ أحقاً ما تقولين؟

وبتعمد بطيء مزق الرسالة إلى قصاصات ورماها في سلة المهملات.

ـ ليس عندي ما يثبت ذلك.

ـ وأنا ببساطة سأطبع استقالة أخرى.

وافقها براندت الرأي وعبس.

ـ إني أعرف تماماً عنادك. ولكن ما أطلبه منك هو أن تعيدي النظر في قرارك، وإذا كنت تشعرين بالإحساس ذاته في الأسبوع المقبل فسوف نبحث في الأمر.

فحذرته جوان: لن أغير رأيي.

تنهد ثم انحنى فوق مجموعة الوثائق الرسمية الممدودة على الطاولة:

ـ أنت معقدة جداً، ولا أدري إن كنت سأستطيع أن أفهمك في أحد الأيام. اطلبي من لانغ وباينز الحضور إلى هنا.

في الواقع، لم تخبر جوان كاي أبداً أن براندت لم يوافق على استقالتها. كان لديها النية الكاملة في تقديم رسالة استقالة أخرى في صباح الاثنين، وأخبرت صديقتها أن مفعول إنذار الأسبوعين سيبدأ يوم الاثنين.

بدأت كاي ليلة الجمعة قراءة الإعلانات المبوبة في الصحف، مؤكدة في الوقت ذاته أن جوان لا تحتاج للانتظار أكثر من ذلك، فيجب أن تبدأ بتعبئة استمارات طلب العمل لوظائف أخرى. وصممت كاي أن تبدأ جوان ذلك من صباح السبت.

لم يكن لجوان حجة مقبولة لعدم تعبئة الاستمارات، ولكنها لم تكن متشوقة لذلك، بالرغم من أنها كانت تكرر في نفسها أن تغيير مكان العمل سيكون أفضل حل ويجب أن تبدأ بالانتقال بأسرع ما يمكن.

شعرت جوان بمزيج غريب من الارتياح عندما وصل أيد توماس على غير توقع من كليفلاند صباح السبت مما جعل كاي تضع كل مخططاتها على الرف لتتفرغ إلى برنامج عطلة الأسبوع الذي يضم جوان وأيد إليها وإلى جون. أمضى الأربعة طيلة فترة بعد الظهر في جدال حول المكان الذي سيذهبون إليه لتناول العشاء وإمضاء السهرة، انتهت المناقشة أخيراً وتوصلوا إلى تسوية مجنونة انطوت على موافقة جون وأيد على تحضير طعام إيطالي للجميع في شقة الفتاتين. كانت السهرة أبعد ما تكون عن الرومانسية، ولكن بالنسبة لجوان كان هذا الوضع هو الوضع الذي تفضله.

وجدت كاي أنّ أيد لا يجيد طبخ المعكرونة بمفرده وبينما كانت

www.elromancia.com

تساعده سمعت على الباب صوت دقات خفيفة.

تأوهت جوان:

ـ أعتقد أنه المشرف على البناية. لا شك أنه شم رائحة المعكرونة المحروقة فطلب الأطفائية!

ضحكت كاي وهي تحاول أن تطرد رائحة الحريق ملوحة بيدها.

ـ وربما جاء لإنقاذنا باستعجال مطفأة الحريق.

قالت جوان بهمس تآمري فيما كانت تهرع نحو الباب:

ـ والأسوأ من ذلك، أن الطارق قد يكون السيدة التي تعيش في آخر الرواق. ومن المحتمل أنها استشاطت غيظاً لأننا نستقبل رجالاً في شقتنا وقد طلبت لنا الشرطة.

انفجر الجميع ضاحكين على هذا التعليق فيما كانت جوان تحاول جهدها لإخفاء ضحكتها عندما فتحت الباب، ومن بعدها زالت عندها كل رغبة في الضحك عندما وجدت نفسها تحدق إلى براندت.

حياها بهدوء ونظراته تتفحص وجهها برقة. حركت رأسها باعتراض عاجز:

ـ براندت؟ أنا...

جاء صوت أيد ملعلعاً بوضوح بينهما:

ـ من يكون الطارق يا حبي؟

قست تعابير عيني براندت فوراً وتحولت إلى البرودة والانزواء. تجاهلت جوان سؤال أيد وهي تدرك أن الباب يحجب الرؤية عن براندت.

سألت في صوت خفيض:

ـ هل.. تريد شيئاً؟

عبس وارتفع حاجباه قليلاً:

ـ أردت أن أدعوك الليلة إلى العشاء.

تحولت نظراته النافذة عن وجهها إلى الغرفة:

ـ كان يجب أن أدرك عندما لم أستطع الاتصال بك اليوم بأنك منشغلة بأمور أخرى.

تصلبت جوان:

ـ لماذا تريد أن تأخذني للعشاء؟ من المؤكد أن انجيلا لها الأولوية في مرافقتك.

تقلصت عضلات فمه:

ـ اعتقدت أن هنالك بعض الأمور التي يجب تسويتها بيننا، من الواضح أنني كنت على خطأ.

سألته وهي تريد يائسة أن تعرف: أية أمور؟

لم يرد عليها براندت فيما كانت نظراته تتفحص وجهها ببطء مما كاد يوقف قلبها، فاهتز كتفاها قليلاً وكأنه لمسها. أشاح نظره عنها بحدة ونظر إلى الرواق المؤدي إلى الشقة وقال عابساً:

ـ لم أكن أنوي أن أدعوك إلى منزلي إذا كان ذلك ما تظنين.

تنفست جوان بصعوبة:

ـ هذا ليس عدلاً، فأنا لم أفكر في ذلك بتاتاً.

هزأ منها بقسوة:

ـ ألم تفعلي ذلك؟ ألم تكوني الآن ترتابين بدوافعي مثلما فعلت دائماً؟

نطقت اسمه بتضرع لكي يتفهمها: براندت...

أرادت أن توضح أن ليس باستطاعتها الوثوق به لأنها تحبه بعمق وهو لا يبادلها هذه العواطف، فالعشاء البريء برفقته سيكون عملية تعذيب بالنسبة لها. ولكنها لم تستطع أن تعبر عن أي من أفكارها لأنه في اللحظة ذاتها أحاطت ذراع أيد كتفها بشدة.

قال أيد لبراندت:

ـ أنا آسف لهذه الضجة، أنا متأكد أن جوان وعدت بأن توقف ذلك.

www.elromancia.com

أكمل وهو يرى أن نظرة براندت تحولت إلى المريلة التي كان يضعها وعيناه تلمعان بالتهكم.

ـ أنا وأخي نلعب الليلة دور الطباخ وأخشى أن كارثة حدثت في المطبخ وهذا ما جعلنا نضحك جميعاً بصوت مرتفع.

وضعت جوان يدها على يد أيد وهي تدرك أن هالة براندت المهيمنة جعلت أيد يظنه المشرف على البناية.

ـ أيد.. هذا مديري في العمل، السيد ليون.

علت وجه أيد ابتسامة عريضة، وسحب ذراعه عن كتف جوان وصافح براندت.

ـ إني آسف، أعتقد أن شعوري بالذنب هو الذي جعلني أعتقد أنك مدير المبنى. أنا أيد توماس، لقد أخبرتني جوان الكثير عنك يا سيد ليون.

رأت جوان تمعن براندت في الرجل الذي يقف إلى جانبها. وعندما أنهى جملته الأخيرة، نظر إليها بعينيه الزرقاوين الفولاذيتين وهما تتطايران شرراً. وتمتم وهو يصافح أيد بأدب:

ـ أفعلت ذلك؟ ليس من باب المديح على ما أعتقد.

احمر وجهها فجأة وبسرعة ولكن أيد أخذ كلامه على سبيل المزاح.

ـ إنَّ لدى جوان إحساساً قوياً بالإخلاص والتفاني، وهي لم تتكلم عنك إلا بالاحترام والتقدير.

وأمال رأسه مستعلماً فيما كان ينقل نظره بين جوان وبراندت.

ـ هل هناك أي مشكلة طارئة؟

أجاب براندت بلطف:

ـ وددت أن أسأل الآنسة سومرز عن أمرين قبل صباح الاثنين. لقد حصلت على ما أريد الآن، وأرجوك أن تقبل اعتذاري لأني قطعت عليكم السهرة.

رد عليه أيد وهو يلوح بيده طارحاً اعتذاره جانباً:

ـ لا داعي للاعتذار، وإذا لم تكن مرتبطاً بموعد ضروري فلِمَ لا تتناول معنا الشاي؟ لقد احترقت المعكرونة تماماً وهذا يعني أن لا عشاء عندنا. أنا متأكد أن جوان سوف تسرّ لوجودك، أليس كذلك يا جوان؟

لم يكن بيدها إلا أن تهز رأسها وتوافق، تردد براندت للحظة ثم هز كتفيه:

ـ إذا لم يكن عند الآنسة سومرز مانع، فسأقبل دعوتكم.

نادت كاي من طرف الغرفة الذي يستعمل مطبخاً فيما كان الثلاثة يغلقون باب الشقة وراءهم: «هل استطعت ترضية السيد غرادي؟» ثم أدارت رأسها وفغرت فاها مندهشة عندما رأت براندت. ولكنها أطبقته بسرعة وكأنه فخ يطبق على طريدة عندما سمعت ما يقوله أيد:

ـ جوان وأنا دعونا السيد ليون ليتناول الشاي معنا.

قذفت العينان البنيتان البراقتان جوان بنظرات مليئة بالغضب فيما كانت كاي تسألها بصمت إذا كانت قد فقدت عقلها. لم تشعر كاي أبداً بالحاجة لإخفاء ما تشعر به، وكان هناك استنكار واضح في صوتها وتعابير وجهها عندما ألقت التحية على براندت، حتى جون تحفظ وتصلبت ملامحه. وبدا أن أيد هو الوحيد الذي لم يدرك ما وراء الأكمة والتوتر الشديد الذي سيطر على جميع من في الغرفة.

كانت جوان تشعر بشدة بالعينين الزرقاوين الباردتين اللامباليتين اللتين كانتا تلاحقانها فيما كانت توزع فناجين الشاي التي صبها جون على الموجودين.

كانت شقتها خالية من الكراسي العادية ولذلك جلس براندت على الكرسي الهزاز وجثمت كاي أمام الكنبة التي جلس عليها جون، وجلس أيد على الكنبة الموضوعة في الجهة المقابلة. ولم يتبقَّ لجوان مكان خالٍ للجلوس عدا الكنبة إلى جانب أيد إلا إذا اختارت أن تبتعد تماماً عن الآخرين وتجلس على أحد كراسي طاولة الطعام. وهذا يعني

الإقرار بأن وجود براندت يثير أعصابها ولهذا اختارت الجلوس إلى جانب أيد.

ترك أيد ذراعاً مسترخية على ظهر الصوفا. أدركت جوان أن الذراع القريبة جداً من كتفها أوحت لبراندت بحميمية معهودة بالرغم من كونها غير موجودة على الإطلاق، وأحست أن براندت كان يستمد الارتياح من رؤية الخطوط المشدودة حول فمها والتي تدل بوضوح على الانزعاج. كانت خائفة جداً من أن يتلكأ عمداً في شرب الشاي كي يطيل فترة تعذيبها، ولكنه أنهى فنجانه قبل الجميع.

بدت الابتسامة التي ظهرت على ملامحه ودودة جداً، ولكن جوان كانت قد رأت ابتسامته الحقيقية في السابق وعرفت أن الابتسامة الحالية تقليد رديء للابتسامة الدافئة المخلصة. شكرهم جميعاً على ضيافتهم ونهض عن مقعده. كانت تتوقع أن يختارها براندت لمرافقته إلى الباب عندما أشار إلى أيد أن يعود للجلوس في مكانه.

لم يوجه إليها إلا ملاحظة واحدة.. نطقها بخفة أوحت أن رغبته في مقابلتها خارج المكتب لم تعد موجودة.

ـ عمت مساء يا آنسة سومرز، سنلتقي صباح الاثنين.

قامت جوان بطبع رسالة استقالتها في ذات اليوم الذي مزق فيه براندت استقالتها الأولى، وقد سرت صباح الاثنين لأنها لم تتلكأ في طبعها فلقد وجدت نفسها مترددة بصورة غريبة في تقديم الاستقالة.

اهتز تأكدها من صواب رأيها فزيارة براندت غير المفهومة أثارت آمالاً لم يكن بالإمكان طرحها جانباً. أنبت نفسها على حماقتها وتمنت لو أن أيد لم يكن موجوداً عندما جاء براندت، فقد كانت ترغب بمعرفة الأمر الذي أراد براندت محادثتها بشأنه، وها هي الآن ينتابها شعور بأنها لن تعرف أبداً.

عرفت جوان أن براندت في مكتبه على الرغم من أنها لم تره، فقد سمعت أصوات خلخلة أوراق ووقع أقدام داخل غرفته عندما وصلت.

وكعادتها كل يوم التقطت دفتر المواعيد اليومي والبريد ودفتر الملاحظات لتدون عليه أي تعليمات، وضمت إليه في اللحظة الأخيرة المغلف الذي يحتوي رسالة استقالتها.

عندما دخلت إلى مكتبه، لم يلق عليها التحية ولم يلمح إلىّ ما حدث خلال زيارته لها في عطلة الأسبوع. كانت أول كلمات ينطقها:

ـ ما هو برنامجي هذا الصباح؟

حدَّد لها براندت في وقت قياسي الرسائل التي يجب الردُّ عليها فوراً. ولم يترك لها مزاجه الفظ أي مجال للتعليق أو الاستفهام، فقد جعلت طريقة التعالي المفرطة، من الصعب على جوان أن تجد الكلمات للتحدث عن استقالتها. وفي النهاية خانتها شجاعتها فنهضت لتخرج دون أن تقدمها وعندما أصبحت قرب الباب قال لها بلطف من دون أن ينظر إليها:

ـ إنني على استعداد لقبول استقالتك يا آنسة سومرز حالما تنتهين من طباعتها. اتصلي بوكالة التوظيف التي نتعامل معها واطلبي منها أن ترسل لنا طلبات العمل ومراجعها.

ـ نعم يا سيدي!

تمتمت جوان وهي تحس بالتخدر ومدّت يدها إلى قبضة الباب من دون وعي وقد هبطت معنوياتها، فلقد كانت تتمنى في سرها أن يحاول براندت ثنيها عن الاستقالة.

أكمل براندت ونظراته القاطعة مثل السيف تسمّرها على الباب:

ـ وأيضاً يا آنسة سومرز، أرجوك أن توضحي لهم أنني أريد موظفة في أواسط العمر هذه المرة. والأفضل أن تكون في أواخر الثلاثينات من عمرها وأن تكون متزوجة، موظفة أستطيع أن أتأكد أنها لن تنجرف مع أوهام وتخيلات سخيفة.

فسألته بعصبية وهي تجاهد لمنع دموعها من الانهمار:

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ حالما تصنفين طلبات العمل حسب الشروط الموضوعة، حددي لأصحابها مواعيد المقابلات يوم الخميس.

أجبرت جوان نفسها على إخراج الكلمات عبر عضلات حلقها المتشنجة:

ـ أجل يا سيد ليون.

طلب براندت منها بلطف وبنبرة باردة وهو مقطب الحاجبين:

ـ ستقدمين استقالتك اليوم، أليس كذلك؟

فانسابت أصابعها المرتجفة بين الأوراق التي تحملها بحثاً عن رسالة استقالتها، وشمخت برأسها عندما سحبتها:

ـ لم أبدل رأيي. ها هي رسالة استقالتي إنها هنا معي.

لم ينظر براندت إلى المغلف عندما وضعته على الطاولة أمامه ولكنه تابع النظر إليها متفحصاً تعابير وجهها الجامدة، ثم قال لها:

ـ أنا على ثقة بأنك ستختارين بديلة مناسبة عنك.

تمتمت جوان بكلمة الشكر بمرارة وهرعت خارج الغرفة وهي تقاوم موجات البؤس التي تكاد تجتاحها. قالت في نفسها ذات مرة إن براندت سيسر لرحيلها ولكنها لم تصدق ذلك حقاً حتى هذه اللحظة.

شعرت جوان أنها تستطيع مواجهة أية صعوبة بعد أن تجاوزت هذا النهار، حتى صعوبة اليوم الذي ستخرج فيه نهائياً من هذا المكتب. استمدت قوة كبيرة من هذا الانتصار الزائف ساعدتها على العودة إلى العمل في اليوم التالي وهي مصممة على القيام بواجباتها دون الاستسلام للبؤس المهيمن على قلبها.

بدا أن القناع المهني الصارم الذي وضعته على وجهها كان مناسباً، فلم يرتجف صوتها بتاتاً عندما خابرتها وكالة التوظيف للحصول على معلومات محددة عن شروط الوظيفة.

نظرت إلى ساعة يدها، فأشارت عقاربها إلى الواحدة والنصف تقريباً. إنَّ كاي ستتصل قريباً كي تذهب وإياها لتناول طعام الغداء.

قوست جوان ظهرها وهي تمط عضلاتها المتشنجة وتسحب الرسالة من الآلة الكاتبة وتقرأها بسرعة لتصحيح الأخطاء التي ربما فاتتها. فتح الباب المؤدي إلى غرفتها ونظرت إلى الأعلى من دون مبالاة، ولكنها لم تكن مستعدة لرؤية اللون الوردي الذي طغى على الغرفة.

علت تقاسيم الوجه الخلابة ابتسامة جذابة:

ـ قيل لي إنني أستطيع أن أجد السيد ليون هنا.

استطاعت جوان بقدرة قادر أن تجد القوة على استعمال لسانها وأكدت لها بنبرة جافة:

ـ هذا مكتب السيد ليون وأنا سكرتيرته.

تقدمت الشقراء المنمنمة بخفة نحو طاولتها:

ـ إذاً أنت من كلمني على الهاتف منذ حوالي الأسبوع. أنا انجيلا فار، من المفترض أن أتناول طعام الغداء مع براندت اليوم. لقد جئت باكراً ولكنني آمل في إقناعه بترك العمل الآن كي يتسنى لنا أن نمضي وقتاً أطول معاً.

تمتمت جوان وهي تلاحظ بغيرة أصابعها الرفيعة وأظافرها الطويلة المغطاة بالمانيكير بصورة رائعة، هذه الأظفار لا تستطيع طابعة آلة كاتبة الاستحواذ على مثلها.

ـ إنه في اجتماع مع شخص الآن، ولكنني أستطيع أن أخبره أنك هنا.

فبرزت بسرعة ابتسامة ماكرة كشفت عن أسنان بيضاء لؤلؤية واقترحت عليها:

ـ ربما ذلك سيعجل المقابلة بيننا.

تقلص حلق جوان بصورة مؤلمة واستطاعت فقط أن تومىء برأسها، ثم ضغطت على زر جهاز الاتصال الداخلي، فيما كان كفاها يتعرقان بسبب عصبيتها وتشنجها.

أتى الصوت الذي رد على ندائها أجشاً وبنبرة تدل على قلة الصبر:

ـ ما الأمر يا آنسة سومرز؟

قالت بصوت بارد أشبه بالصقيع على الرغم من رغبتها بأن تكون نبرتها مختلفة:

ـ وصلت الآنسة فار لرؤيتك.

فتمهّل بالردّ عليها ثم أجاب بصوت كان من الواضح أنه أكثر دفئاً:

ـ اطلبي منها أن تنتظرني.. لن أتأخر.

نظرت جوان إلى الشقراء المنمنمة الرائعة الجمال بعد أن قطع الاتصال بين الغرفتين.

ـ هل تتفضلين بالجلوس يا آنسة فار؟

شكرتها انجيلا وجلست برشاقة على كرسي بجانب طاولة جوان.

ـ أنت حقاً لطيفة جداً يا آنسة سومرز. كنت أتوقع أن أجدك، من الطريقة التي يتحدث فيها براندت عنك، أكبر سناً.

لم تكن جوان متأكدة إن كان ما قالته انجيلا إطراءً، ولكنها اقتنعت أنّ توتر أعصابها هو الذي صوّر لها أنّ كلام أنجيلا مبطن. كانت تريد العثور على عيب ما في هذه المرأة، وكانت تفضل لو أن انجيلا كانت عاهرة متعجرفة عوضاً عن أن تكون لطيفة ومنفتحة.

لم تجد جوان ما تعلق به على كلام انجيلا من دون تورط إلا:

ـ يميل صاحب العمل إلى اعتبار السكرتيرات أمراً مسلماً به.

ـ هل تعملين عند براندت منذ زمن طويل؟

ابتسمت جوان بعصبية وهي ما تزال تخلط الأوراق الموضوعة على طاولتها من دون هدف، فلم يكن بنيتها أن تقول لحبيبة براندت هذه إنها قدمت استقالتها.

أجابتها:

ـ إني أعمل هنا منذ ثلاث سنوات.

تنهدت انجيلا بصوت هامس أرسل رائحة عطر الزهور الذي تعطرت به إلى أنف جوان.

ـ لا شك أنك تعرفينه جيداً.

أنكرت جوان وهي تكتشف أنها تكره الأزهار وخاصة براعم الورد الزهرية اللون.

ـ ليس تماماً يا آنسة فار.

نظرت إليها انجيلا بعينين زرقاوين عززتهما أهداب طويلة.

ـ من المؤكد أنك كنت تتنقلين مع براندت خلال تفقده مواقع الإنشاءات.

ضحكت جوان وأجابت:

ـ من الذي أوحى لك بهذه الفكرة يا آنسة فار؟

هزت انجيلا كتفيها وقد أصابتها الحيرة:

ـ حسناً، ألا يتوجب عليك تدوين ملاحظاته أو فعل أي شيء آخر عندما يتفقد هذه الأمكنة؟

أوضحت لها جوان:

ـ إذا احتاج السيد ليون إلى تدوين ملاحظات خاصة، فهو يقوم بتسجيلها على شريط ويعطيني إياه عندما يعود لأقوم بنقله كتابة.

ـ فهمت.

هزت انجيلا رأسها ثم تجاوزت جوان بنظراتها وابتسمت بعمق:

ـ ها أنت يا عزيزي. كنت أعرف أنك لن تتركني أنتظر طويلاً.

أحست جوان بأنّ وجنتيها تكادان تحترقان عندما التفتت بعفوية نحو الباب ورأت براندت واقفاً. تنقلت نظرات براندت بين جوان وانجيلا وكأنه يقارن ما بين الاثنتين. عرفت جوان أي منهما هي المفضلة لديه وحاولت إقناع نفسها أن الأمر لا يهم، ومع ذلك فقد أفلتت منها دمعة وسالت على خدها عندما غادر الرجل النحيل المكتب وبرفقته برعم ورد زهري رقيق.

***

٨ ـ دع لي حبي!

علقت اللقمة التي التقمتها جوان بين حلقها ومعدتها، فأن تتمنى لبراندت السعادة كان رُبَّما أمراً مقبولاً، أما أن تراه مع الفتاة التي توفر له هذه السعادة فكان أمراً آخر. حطمت قلبها المرارة ومزّقها العذاب، فالقديسون هم فقط الذين يملكون المناعة ضد آلام الغيرة القاتلة.

كان الصداع يضرب رأسها من دون رحمة وبالرغم من ذلك حاولت ألاّ تنظر إلى ساعة يدها، وتابعت الطباعة بتصميم. ركّزت على الكلمات التي كان صوت براندت ينطقها من خلال سماعة آلة التسجيل، ولكن قلبها تابع الاستماع إلى نغمة صوته الثابتة، وقبل أن تلاحظ ما يحدث قفزت عن جملة بأكملها.

أرجعت جوان شريط التسجيل قليلاً لتسمع ما فاتها وقد تملكها الإحباط وعدم الصبر، وكانت متنبِّهة إلى أن ساعة غداء براندت امتدت أطول من أي مرة خرج فيها لتناول الطعام. وبالرغم من أنها أرجعت شريط التسجيل فقد فاتتها الجملة ثانية. فأقفلت آلة التسجيل وأطلقت تنهيدة المهزوم ثم انتصبت عن كرسيها الدوار، ونزعت عن أذنها السماعة ووضعتها إلى جانب آلة التسجيل. ربما لو ارتاحت لحظة ستسترجع القوة التي تسيطر بها على أفكارها. فجأة دارت أكرة الباب فانحنت جوان بسرعة على الآلة الكاتبة متظاهرة بالتركيز على الكلمات المطبوعة على الورقة.

قفز نظرها من دون إرادة إلى ساعة يدها، لقد أصبح الوقت الساعة

الثانية تقريباً.

استعلم براندت:

ـ هل يوجد أي رسائل لي يا آنسة سومرز؟

أدارت رأسها نصف دورة وتعمدت أن لا يكون في مجال رؤيتها، وأجابت في نبرة عملية باردة تحكمت بها بدقة:

ـ لقد وضعت رسائلك على طاولتك يا سيد ليون.

توقفت خطاه في مكان ما قرب الطاولة وبعد بُرهة شعرت جوان بدغدغة خلف عنقها فأمسكت أنفاسها وغضت النظر في دعاء صامت كي يذهب براندت عنها.

سألته ببرود، وكان عقلها يتخيل بكراهية الأسباب التي جعلت ساعة تناوله طعام الغداء تطول إلى هذا الحد.

ـ هل هناك شيء آخر يا سيد ليون؟

رد عليها عابساً:

ـ نعم يا آنسة سومرز، هنالك أمر آخر. من الآن وصاعداً اتركي شعرك منسدلاً، فلا حاجة بك للاحتفاظ بقناع سندريلا الفتاة البريئة.

تسارعت نبضاتها منذرة بالخطر عندما فوجئت بهذه الجملة تنطلق من فمه. أصبح مسيطراً على الكثير من وجودها حتى ولو لم يكن يعرف ذلك، فأطبقت أصابعها المرتجفة على ممحاة وأخذت تمحي كلمة مطبوعة لا خطأ فيها.

ردت بصوت مرتفع:

ـ ليس هذا بقناع. أنا أعقد شعري بهذه التسريحة لأنها عملية أكثر وسوف أستمر في ذلك.

انطلقت صرخة استغراب متقطعة من حلقها عندما أدير كرسيها بشدة وقبضت يداه على جانبيه وجعلتاها سجينة في مقعدها فنظرت إلى براندت والشرر المتطاير من عينيه يهددها.

انتفض قائلاً:

ـ لم يكن ما قلته طلباً، إنه أمر!

بدا لها وجهه من خلال عدسات نظاراتها السميكة شديد الوضوح وذهلت من الغضب العارم الذي علا كل ملامحه، فهي لم ترَ أبداً براندت غاضباً بهذا الشكل.

تمتمت «كلا» وهي لا تدري إذا كان جوابها اعتراضاً على أوامره أم بسبب دهشتها وقد اكتشفت أنه قابل للغضب الشديد.

انتزع نظاراتها عن وجهها ورماها من دون مبالاة على الطاولة قبل أن تستطيع منعه من ذلك، وعندما حاولت استرجاعها، أمسك بكتفيها وأوقفها بقسوة على قدميها. لقد ثار الأسد وأخذ يتصرف بعنف بدائي.

زأر براندت:

ـ سوف تسدلين شعرك، وإذا لم تفعلي فسوف أقوم أنا بذلك!

كانت أصابعها ترتجف على صدره، وضعت يديها هناك كي تصده عنها إذا حاول أن يحتويها بذراعيه. كان في أعماقها شيء ما يدفعها إلى عدم إطاعته لكن كان في ذلك مجازفة كبيرة في إمكانية أن تكشف عن حاجتها للتجاوب معه. رفعت يديها بتردد إلى الدبابيس التي تمسك بشعرها الملفوف بأناقة على شكل كعكة، وفي ثوان تدلى على ظهرها والتف على الأصابع المغروزة في ذراعيها. وبشجاعة رفعت نظرها إلى وجه براندت.

خفت ضراوة انفعالاته وأصبحت ناراً هادئة تنطلق من زرقة عينيه.

تنفست جوان بصعوبة وقالت:

ـ هل أنت راضٍ الآن؟

قلص فمه وقال: كلا.

أحست أن اعترافه جاء لا إرادياً ثم طوقتها يداه بقوة فقاومته وهي ترتجف ولكنها سرعان ما استسلمت لعناقه.

فتح باب غرفتها فجأة فدفعها براندت بخشونة بعيداً عنه. كان لايل باينز يقف بالباب محدقاً وقد فغر فاه من الدهشة. تلون وجهها من

الخجل، فتراجع باينز إلى الممر وأغلق الباب وراءه من دون أن ينبس بكلمة.

لم يفلت براندت كتفيها حتى أصبحا بمفردهما، فأطبقت أصابعه على ذقنها وأجبرها على رفع رأسها كي تنظر في وجهه.

قال لها عابساً:

ـ لا أملك عذراً يا جوان، ما عدا أنني رغبت في إيذائك ولكنني لم أقصد أبداً أن أنجح بهذه الطريقة.

تلألأت الدموع في عينيها ولكنها واجهت نظراته إليها وقالت في همسة تنم عن العذاب الذي تشعر به:

ـ من الآن وصاعداً وفر تصرفات إنسان الكهوف البدائية لأنجيلا، فربما تقدرها حق قدرها.

أجابها براندت وكأنه يدق المسمار الأخير في نعشها:

ـ لو كنت أعرف أن ضربك بالهراوة سيساعد، لكنت فعلت ذلك.

ثم استدار وابتعد بصورة مفاجئة نحو مكتبه فلو بقي عندها لربما حاول أن ينفذ ما يدور في رأسه.

عند حلول يوم الاثنين من الأسبوع التالي، عرف جميع الموظفين في شركة ليون للمقاولات أن جوان ستترك العمل في الشركة وستبدأ بديلتها العمل في هذا الصباح كي تتأقلم مع روتين العمل في المكتب تحت إشراف جوان. وسمع الجميع أيضاً عن المشهد الذي رآه لايل باينز، وكان المكتب يعج بالإشاعات والتكهنات عن السبب الحقيقي لترك جوان العمل.

كانت بديلتها السيدة ماسون امرأة صغيرة الحجم ذات شعر أشيب وابتسامة لطيفة، وأعطت انطباعاً أنها بخبرتها الواسعة ستتأقلم مع روتين العمل بسرعة وأملت جوان في سرها أن تستطيع ذلك كي تمكنها من ترك العمل في نهاية الأسبوع.

رافقت السيدة ماسون جوان عندما قامت بأول عمل لها في صباح

الاثنين، وهو الدخول إلى مكتب براندت للإشراف على المراسلات والمواعيد. بدا أن براندت متشوق كي تتعلم السيدة ماسون بسرعة فيما كان يوجه كل الأسئلة والملاحظات إليها بدلاً من جوان التي لم يوجه إليها إلا بعض التحيات العابرة، فقد تجاهل جوان تماماً، حتى أنه لم ينظر ناحيتها. وأحست نوعاً ما بالفرج عندما أنهيا كل شيء وأصبح باستطاعتها واستطاعة السيدة ماسون ترك مكتبه.

طلب براندت بهدوء عندما بدأت جوان بالنهوض عن المقعد:

ـ هل تبقين للحظة يا آنسة سومرز؟

فنظرت بجزع إلى المرأة الأكبر منها سناً، كانت تفضل أن تبقى معها وتعزلها عنه ولكن لم يكن باليد حيلة، فوافقت وجلست ثانية فيما غادرت السيدة ماسون الغرفة.

عندما وجّه براندت انتباهه إليها كان وجهه خالياً من أية تعابير، ولم تكن عيناه تفضحان أياً من الأفكار التي كانت تدور في رأسه. ساد الغرفة صمت غير مريح ولم يقطع إلا عندما انتفض براندت من مقعده وسار نحو النافذة وهو يضع ذراعيه خلف ظهره.

رماها بالسؤال بخفة ومن دون أن يلتفت إليها:

ـ هل سمعت الإشاعات التي تدور في هذه الشركة؟

طرفت عينا جوان غير مصدقة وذهلت لأن براندت تمكن من سماع تلك الإشاعات، فأخذت نفساً وأجابته: نعم.

استدار براندت نحوها قليلاً رافعاً حاجبيه:

ـ إذاً أنت تعلمين أن الجميع يعتقدون أن هنالك علاقة بيني وبينك؟

وافقته وأخفضت نظرها نحو يديها المتشابكتين على حضنها:

ـ بعضهم يقول ذلك.

ـ هل حاولت إنكار ذلك؟

ردت عليه بعصبية:

ـ لم أجد فائدة في ذلك، فأنا سأترك في نهاية الأسبوع وستموت

هذه القصص بصورة طبيعية.

استدار براندت حول نفسه ثم عاد إلى طاولته، فتوقف قبالة مقعدها واستند على طرف الطاولة.

حدق إليها بصورة جعلتها تضطرب:

ـ هل تعرفين ماذا كانوا يتكهنون بالنسبة لاستقالتك؟

شعرت جوان بالحرارة تدب في أوصالها وأجابت:

ـ يقولون إنني استقلت لأننا تشاجرنا.

فارتسمت على فمه ابتسامة تهكم وتنهد:

ـ أعتقد أنك تبسّطين الأمور كثيراً.

حولت جوان بصرها عنه وهي تنطق بما تفكر به عالياً:

ـ لماذا يتفوهون بمثل هذه الأشياء الفظيعة؟

أجابها بسخط وعصبية:

ـ من يعرف؟ أعتقد أننا قدمنا لهم ما يُثير فضيحة عندما احتجزنا في المكتب خلال العاصفة، وأصبح الأمر أسوأ عندما فقدت أعصابي في ذلك اليوم. أنا آسف يا جوان.

فأجابته برقة وهي تنهض على قدميها منزعجة وتمشي بارتباك نحو النافذة:

ـ أنا.. أنا لا ألومك على شيء يا براندت.

لحق بها براندت وتوقف إلى جانبها ونظر من خلال النافذة، ثم سألها بهدوء:

ـ هل تفكرين ثانية في استقالتك؟

فغرت فاها قليلاً ورمقته بحدة: ماذا؟

فرمقها بدوره للحظة قصيرة:

ـ إنها الطريقة الوحيدة التي أعرفها والتي تضع حداً لهذه الإشاعات، وبعد بضعة أشهر سيكتشفون بأنفسهم أن ما أشيع لم يكن صحيحاً. أما إذا تركت العمل فسوف يفترضون أنهم كانوا على حق.

www.elromancia.com

شعرت جوان بضيق في تنفسها. كان اقتراحه منطقياً إلى حدٍّ كبير، فهزّت رأسها وأجابت:

ـ لا أستطيع. سوف أترك في نهاية الأسبوع.

ـ ولكن ما الضرر في استمرارك بالعمل بضعة أشهر أخرى؟

فجادلته بمنطق:

ـ لقد وظفت السيدة ماسون لتحل مكاني. كلانا يعرف أن هذه القصص غيرُ حقيقية ولن أدع لثرثرة فارغة أن تغيّر رأيي.

صحح لها براندت:

ـ المشكلة هي.. أن كلينا يعرف أن هناك بعض الحقيقة في ما يقولون ولهذا السبب فإنّ ما تبقى من الإشاعات يصبح قابلاً للتصديق.

أنكرت جوان بعنف: كلا!

هز كتفيه واستدار مبتعداً:

ـ فكري كما تشائين، لقد فكرت أنه يجب أن أخبرك بما يقال. ولكن من الواضح أنك لا تهتمين للأمر.

احتجت على كلامه:

ـ بالطبع أهتم للأمر.

ـ ليس بما يكفي لإيقاف سيل الثرثرة.

فأشاحت جوان بنظرها عن عينيه الزرقاوين:

ـ إني لا أستطيع العمل عندك بعد الآن، لقد أصبح الأمر مستحيلاً.

أجاب:

ـ لم تجدي هذا الأمر صعباً طوال ثلاث سنوات.

ـ ولكن ذلك كان قبل....

وكادت تقول قبل أن تقع فعلاً في غرامه.

فهمس ساخراً:

ـ قبل ماذا؟ قبل أن تحاولي إغرائي بمعانقتك بعد أن دعوتني لذلك؟ لم تكن غلطتي أنني لم ألاحظ أبداً أنك غير مستعدة، ولم

أنكهن أنك كنت ملزمة بقبول مداعباتي لأني مديرك بالعمل.

تنفست جوان بحدة بسبب طعنة الألم التي شعرت بها في قلبها واتهمته:

ـ لقد استغليتني كبديلة عن انجيلا.

فرد عليها بلطف:

ـ لو رغبت بأنجيلا لما كنت جئتك.

اختلطت في قلبها الحيرة مع الدهشة فيما كانت تحدق إليه وتتمنى لو كانت تستطيع رؤية ما خلف وجهه الخالي من التعابير وأن تقرأ المعنى الحقيقي لما قاله للتو.

تمتمت:

ـ لماذا قدمت ليلة رأس السنة لمقابلتي؟

ـ لا أريد الدخول معك في جدال آخر يا جوان. دعينا ننسى هذه المناقشة.

استطاعت جوان أن تعرف من انطباق فكي براندت على بعضهما البعض بشدة أنّ لقاءهما قد انتهى.

ـ أعتقد أن لدى السيدة ماسون بعض الأسئلة. أقترح أن تذهبي وتساعديها.

تنهدت واستدارت نحو الباب وقالت بتردد:

ـ حسناً، لدي.. موعد مقابلة للعمل في الساعة الواحدة غداً. هل تسمح لي أن آخذ فرصة ساعة الغداء في ذلك الوقت؟ فباستطاعة السيدة ماسون الاهتمام بالعمل بمفردها لفترة ساعة.

عبس براندت وجلس على مقعده خلف طاولة المكتب:

ـ هذا الأمر لا يهمني. اجري أي ترتيبات تحتاجين إلى إجرائها معها.

لم تنته المقابلة في اليوم التالي على ما يرام، لأن جوان تابعت التفكير في الأمور التي كان يتوجب عليها أن تلفت انتباه السيدة ماسون

www.elromancia.com

إليها. فقد أعاد عليها الرجل الذي أجرى المقابلة الأسئلة عدة مرات، ولم تكن جوان تحتاج إلى من يخبرها وهي تغادر مكتب شركة التأمين أنها لن تحصل على الوظيفة.

تثاقلت خطاها وهي تعبر الممر الموصل إلى غرفة مكتبها واستطاعت أن تسمع صوت براندت يلعلع في الداخل قبل أن تصل إلى الباب.

كان يطالب بنبرة ثقيلة من السخط:

ـ ألم تعثري عليه بعد يا سيدة ماسون؟ إن الرجل ينتظر على الهاتف في مخابرة خارجية. ماذا يمكن أن أقول له؟ هل أخبره أننا قد أضعنا عرض أسعاره؟

تساءلت جوان وهي تفتح الباب وتحضر نفسها لأسوأ الاحتمالات: ألن يجري أي شيء على ما يرام اليوم؟

تحولت تعابير الإحباط على وجه السيدة ماسون إلى الفرح فور أن شاهدت جوان. فتنهد براندت بثقل، وتحولت نظراته المحبطة نحوها متهماً.

ـ لقد تأخرت عن موعد عودتك، هل تسمحين وتخبري السيدة ماسون أين ملف شركة أ. ب. كينغ؟

عبثت جوان بحقيبة يدها وأخذت منها علبة النظارات ووضعتها على عينيها. ثم طوت معطفها ووضعته فوق كرسي وهرعت نحو خزانة الملفات حيث كانت السيدة ماسون تحوم بعصبية وبراندت ينتظر بنفاد صبر.

قالت السيدة ماسون بتردد:

ـ أعتقد أنني وجدت الجارور الصحيح، لقد بحثت في بقية الجوارير ولم أعثر عليه.

فابتسمت جوان لها لتطمئنها وقالت وهي تشير إلى الجارور المفتوح:

ـ هذا هو الجارور حيث يجب أن يكون الملف.

قلبت سريعاً الملفات في قسم حرف «ك» ولم تنجح في العثور عليه، فرمقت براندت بنظرة حادة وسألته:

ـ متى كان معك آخر مرة؟

رد عليها:

ـ يوم الجمعة وهو ليس على مكتبي.

تقلصت زاويتا فمها في علامة رضى ووجهت اهتمامها إلى قسم حرف «أ» في مقدمة الجارور، ووجدت الملف المفقود.

تمتمت وفي عينيها نظرة رثاء:

ـ إن بقيت بعيداً يا سيد ليون عن خزانة الملفات، فلن نجد الملفات في غير مكانها. خذي مني هذا التحذير يا سيدة ماسون، إن لدى السيد ليون عادة في وضع الملفات في غير مكانها. ابقيه ما أمكن بعيداً عن خزانة الملفات إذا أردت أن تتجنبي واقعة مثل هذه.

عبس براندت رداً على ملاحظتها وأخذ الملف من يدها: شكراً يا جوان.

عندما أغلق براندت مكتبه رمت روبرتا ماسون جوان بنظرة عرفان بالجميل.

ـ شكراً لله لأنك جئت في الوقت المناسب. لقد عرفت أنك منظمة جداً في عملك ولم يخطر على بالي أبداً أن يكون الملف في غير مكانه، وللحظة ظننت أن السيد ليون سيطلب مني البحث عن عمل آخر.

ابتعدت جوان لتعلق معطفها:

ـ لو كنت مكانك لما قلقت لهذا، فنظام الملفات هو لعبته المدللة التي تتكل عليه حياته.

ضحكت المرأة المسنة:

ـ تأكدي بأني سأتذكر تنبيهك.

لمست جوان ساعة يدها بخفة، فزحفت عليها الكآبة وهي تدرك

www.elromancia.com

أن براندت لن يأتي إليها بعد الآن كي تحل له لغز الملفات.

ـ هل حدث أي شيء آخر خلال غيابي؟

نظرت السيدة ماسون بتردد إلى جوان:

ـ كلا، لقد سار كل شيء على ما يرام. هل تسمحين بأن أطرح عليك سؤالاً شخصياً؟

فتصلبت جوان من دون وعي وتساءلت إذا كانت الإشاعات قد وصلت إلى أسماع بديلتها: بالطبع!

ـ لقد عرفت أنك تبحثين عن عمل آخر وتساءلت لماذا تتخلين عن هذا العمل.

حاولت جوان المحافظة على هدوء وجهها وأجابت ببرود:

ـ أعتقد أنك سمعت بعض القصص التي يتداولونها.

ابتسمت السيدة ماسون ابتسامة عريضة ولمعت عيناها:

ـ بالطبع، ويأمل الثرثارون بأن أنقل إليهم ما يجري هنا. من الأفضل لهم إذا أرادوا شيئاً تلوكه ألسنتهم بالسوء أن ينظروا إلى ما يفعلونه.

أمالت جوان رأسها وهي مندهشة وغير مصدقة ما تسمعه، وتلألأ شعرها المنسدل فوق كتفيها كما أمر براندت وسألتها بحذر:

ـ ألا تصدقين ما يقال؟

ـ أنت فتاة جميلة جداً، ولو لم يلاحظ السيد ليون ذلك لكنت اعتقدت أن هنالك علة ما به. يقتصر تداول هذه الإشاعات الذميمة على بضعة موظفين فقط، ولا أحد يصدق هذه القصص غيرهم.

ابتسمت جوان لها بامتنان:

ـ شكراً لك! أحياناً أشعر وكأني مدموغة بوصمة عار لا أستطيع رؤيتها.

ابتسمت السيدة ماسون بدورها:

ـ أؤكد لك أنه لا وجود لمثل هذه الدمغة. ولكن ما الذي جعلك

تقررين ترك العمل؟ لقد عملت سكرتيرة لمدة عشرين سنة تقريباً وأستطيع أن أميز أنك قادرة وكفوءة.

هزت جوان كتفيها وقالت لها جزءاً من الحقيقة:

ـ الأسباب التي دفعتني بسيطة، لقد تمتعت بالعمل هنا ولكني أرغب بالتغيير وتجربة عمل جديد.

وافقتها المرأة المسنة وقد اقتنعت بجواب جوان:

ـ العمل في مكان جديد هو تحدٍ، ويبدو أنك عندما تعملين في مكان واحد لمدة طويلة تصبحين محدودة الأفق.

أدركت جوان عند حلول يوم الجمعة أنها لم تترك شيئاً لم تفسره للسيدة ماسون. أما المشاكل الاعتراضية التي يمكن أن تحدث فلا يمكن التكهن بها مسبقاً، ولكن بفضل خبرة السيدة ماسون يمكن حل هذه المشاكل من دون إشراف جوان.

أمضت معظم الوقت في تأمل المكتب وتخزين الذكريات عن كل شيء فيه. كان اليوم يمر بسرعة، ومع أنها أجرت مقابلتين للحصول على عمل فهي ما زالت عاطلة عن العمل.

* * *

أعلنت كاي وهي تفتح الكيس وتخرج منه الروب الطويل المصنوع من الحرير الشرقي:

ـ بلى، سوف ترتدين هذا الآن. لماذا اشتريت هكذا روب إذا كنت لن ترتديه داخل الشقة؟

ضحكت جوان:

ـ ما أزال أملك واحداً ابتاعه لي أمي وأبي هدية عيد الميلاد. لا أعرف كيف أقنعتني بأن أشتري روباً آخر.

هزت كاي رأسها ثم ابتسمت:

ـ لقد بدوت رائعة الجمال به، بالإضافة إلى أن الثمن الذي دفعته

كان سرقة.

وافقتها جوان فيما كانت أصابعها تداعب قماش الروب الناعم: إنه رائع.

بدا أن ألوان الروب الذهبي والأحمر والأزرق تعزز لون شعرها عندما جربت الروب في مخزن الثياب المستعملة الذي أخذتها كاي إليه. وقد شعرت جوان بعد أن ارتدته أنها أصبحت مثل زهرة استوائية، وتمنت في سرها لو رآها براندت هكذا. ولكن الآن وقد عادت إلى الشقة المفروشة المتواضعة، بدا الروب وكأنه لا يناسبها.

دفعت كاي الروب بين ذراعي جوان واستدارت نحو غرفة النوم وأمرتها بنفاد صبر:

ـ هيا جربيه. وفي الوقت الذي تبدلين فيه ملابسك سأقوم بتحضير الشاي.

كانت كاي تحاول جهدها كي تبقي معنويات جوان عالية. بدا أن الروب فقد شيئاً من سحره عندما ارتدته ووقفت أمام مرآة خزانة الثياب، وربما حدث ذلك لأنّ بعضاً من السعادة قد غاب عن عينيها عندما تمنت لو أن براندت يراها. حاولت الابتسام في المرآة ولكن جل ما فعلته كان تحريك شفتيها بتثاقل، ثم مشطت شعرها الذهبي بالفرشاة بسرعة مصممة أن لا تكشف لكاي الإحباط الذي تشعر به.

عندما دخلت جوان الغرفة، انحنت صديقتها لها راسمة على وجهها ابتسامة حقيقية وقالت بصوت أشبه بالغناء:

ـ أعتذر لعدم وجود كعكة حظ تليق بمقامك، ويجب أن تكتفي ببسكويت الفانيلا..

سمعا صفارة إبريق الشاي فردّت جوان:

ـ حان دورك كي ترتدي الفستان الغجري.

ضحكت كاي وتوقفت إلى جانب الصوفا لتلتقط الكيس الذي يحتوي على فستانها ثم توقفت عند مدخل غرفة النوم:

ـ انتظري حتى يشاهدني جون في هذا الفستان. هل أستطيع استعارة قلادتك الذهبية؟

هزت جوان رأسها موافقة ومدت يدها إلى خزانة المطبخ وأخرجت الفناجين والصحون.

ـ طبعاً. خذيه بنفسك من صندوق المجوهرات.

صبت كاي الشاي في الفناجين ثم مشت بقدميها العاريتين على السجادة وتوقفت في وسط الغرفة بينما كانت تنورتها التي يصل طولها إلى الكاحل تتمايل حول ساقيها.. ثم قالت:

ـ ما أحتاج إليه حقاً هو وضع شعر مستعار أحمر وطويل.

قهقهت جوان وهي تحمل فناجين الشاي وتضعها على الطاولة الصغيرة الموضوعة أمام الصوفا.

ـ سوف تصدمين جون وتسببين له الموت. في أي مكان يمكنك أن ترتدي مثل هذا الزي؟

هزت كاي كتفيها استخفافاً وجلست على الأرض مقابل الطاولة مثلما يجلس الغجر. كانت عيناها تلمعان بغرابة وهي تنظر إلى جوان:

ـ ومن يهتم؟ من المفترض أن يأتي اليوم بعد الظهر ويبقى ساعة. هل تعتقدين فعلاً أنه سيصدم عندما يراني مرتدية هذا الفستان؟

ـ حسناً، ربما لن يصدم، ولكنني متأكدة أنه سيفاجأ.

في هذا الوقت سمعا طرقاً على الباب فقفزت كاي على قدميها:

ـ يا إلهي لقد وصل الآن.

مسدت تنورتها بسرعة وسوّت قميصها ثم غمزت جوان واندفعت نحو الباب وفتحته وهي تكاد تصرخ. ولكنها توقفت فجأة عند الباب عوضاً أن ترمي نفسها بين ذراعي جون.

سألت الطارق بخشونة:

ـ ما الذي تريده؟

انتصبت جوان في جلستها على الكنبة وقد أخرسها الغضب في

صوت صديقتها.

ـ هل جوان هنا؟

قفز قلبها بعد أن تناهى لأسماعها صوت براندت الرخيم والمنخفض فنهضت بسرعة، ولم تدرِ هل تهرب من الغرفة أم تهرع إلى الباب، فوقفت من دون حراك إلى جانب الكنبة مثل تمثال.

أجابته كاي:

ـ حتى لو كانت موجودة فهي لا ترغب برؤيتك.

رد عليها براندت وقد بدا عليه الانزعاج.

ـ حسناً، أنا أرغب برؤيتها. هل ستخبرينها أنني هنا؟

كانت كاي ما تزال تسد عليه الطريق:

ـ إذا كان ذلك يتعلق بالعمل، فاقصد السيدة ماسون فهي سكرتيرتك الآن.

ـ إنني أريد أن أقابل جوان وليس السيدة ماسون.

أدركت جوان من نبرة صوته أنه لن يسمح بأن يعترضه أحد، فشبكت أصابعها وهي تشعر بالاستياء.

صرخت صديقتها بغضب:

ـ ألم تسبب ما فيه الكفاية من المتاعب يا سيد ليون؟ لماذا لا تتركها وحالها؟

رد عليها براندت بخشونة:

ـ أنا أتفهم دوافعك في محاولتك لحماية صديقتك ولكني لن أغادر قبل أن أتكلم مع جوان.

حاولت كاي أن تقفل الباب في وجهه وهي تقول:

ـ إن انتظارك سيطول.

تحرك الباب قليلاً قبل أن تفتحه قوة أكبر على مصراعيه. لا شيء سيوقف براندت. أخذت جوان نفساً عميقاً لتهدئة أعصابها المضطربة واستدارت حول طاولة القهوة وخطت نحو الباب لتجابه ما يتعذر

اجتنابه.

قالت وهي ترتجف:

ـ لا بأس يا كاي سأتكلم معه.

رمقتها كاي بنظرة غضب متمردة من دون أن تتحرك من مكانها أمام الباب.

ـ لست مجبرة على التحدث إليه يا جوان. وإذا لم يذهب فسأطلب الشرطة، فهو لم يعد مديرك الآن ولست مجبرة على القيام بما يطلبه منك.

تمتمت جوان: أرجوك يا كاي!

انتفضت كاي وانسحبت من أمام الباب ووقفت إلى جانب جوان وقد شبكت ذراعيها إلى صدرها وكأنها جاهزة للدخول في معركة في أي لحظة يطلب منها ذلك.

ـ يظهر أنك ترغبين بالعقاب.

دخل براندت الشقة الصغيرة، ويداه مندستان في جيبي معطفه وحالما صار في الداخل توقف وجالت نظراته الحادة على وجه جوان الشاحب، ثم رمقها بنظره من الأعلى إلى الأسفل وقد زادها الروب الحريري البرّاق جمالاً وفتنة.

شعرت جوان بارتخاء ساقيها وهي تشاهد تعابير وجهه الجامدة. لم يكن قد مضى أكثر من أربع وعشرين ساعة على آخر مرة رأته فيها، ومع ذلك فهو لم يؤثر بعواطفها في تلك المرة مثلما فعل الآن، وربما كان ذلك لأنها ظنت أنها لن تراه ثانية أبداً. كان قلبها المجروح ينبض بالألم، فأجبرت نفسها على الكلام.

ـ ما الذي تريده يا سيد ليون؟

فلوى فمه باستهزاء مضيفاً بذلك خشونة على ملامحه القاسية.

ـ أريد أن أتحدث معك، أظن أني أوضحت ذلك.

لم تستطع أن تبقي نظرها مقابلاً لنظره طويلاً فأخفضت نظراتها

www.elromancia.com

نحو يديها:

ـ في الحقيقة ليس هناك ما نتكلم عنه.

ـ أعتقد أنه يوجد.

ـ إذا كان ذلك بشأن العمل فيجب، كما قالت كاي، أن تتصل بالسيدة ماسون.

انطلق صوته معبّراً عن اشمئزازه وغضبه:

ـ أنا واعٍ تماماً أنك لست تعملين عندي الآن يا جوان، وإذا طلبت من حارستكَ أن تغادر الغرفة فسوف أشرح لك سبب حضوري إلى هنا.

نظرت جوان بتردد نحو كاي التي ما زالت تتقد غضباً. وأدركت لشعورها بالخوف والعجز أنها يجب أن تدعه يقول ما يريد قوله.

اهتز صوتها عندما تملكتها العواطف المتضاربة:

ـ كاي، هل تمانعين في الانتظار في غرفة النوم؟

خبطت كاي الأرض بقدمها الحافية من شدة غضبها وسخطها، فظنّت جوان أنّ كاي سترفض طلبها. ولكنّ كاي ألقت على براندت نظرات محرقة محذّرة إياه بصمت بأنها ستخرج من غرفة النوم مثل أنثى النسر التي تدافع عن وليدها إذا حاول الاعتداء على جوان.

التفتت جوان نحو براندت، ولكنها لم تستطع الاستمرار بالنظر إليه فقد بدا أنه ليس بمستطاعها النظر إليه من دون أن تفضح مشاعرها. كانت أصابعها ما تزال منقبضة بشدة وقد أصبحت مفاصلها بيضاء اللون. خطا براندت خطوة واحدة إلى الأمام فنظرت إليه بخوف. انقبضت أسارير وجهه بالعبوس فيما عيناه ذات اللون الأزرق المعدني تمشطانها من رأسها حتى أخمص قدميها.

ـ هذا الروب جميل جداً.

تلفظ ملاحظته بلا مبالاة، ومع ذلك جعل هذا الثناء شفتي جوان تهتزان من السرور ولكن براندت قضى على هذا الشعور بجملته التالية:

ـ يجعلك تبدين أكثر عزلة وأصعب منالاً.

مسحت يديها فوق القماش الحريري بعصبية ثم ذكرته بنبرة فيها مسحة من الكبرياء:

ـ أنت لم تأتِ لتناقش ما أرتدي من ملابس.

عبر عن اشمئزازه بسرعة وسأل:

ـ لماذا لم نعد نستطيع تبادل الحديث بسلاسة؟

تمتمت جوان:

ـ لم يكن أبداً باستطاعتنا ذلك.

فتنهد براندت وفك أزرار معطفه ثم حدق إليها بشراسة:

ـ بلى كنا نفعل، هل أستطيع خلع معطفي أو ستعتبرين ذلك تصرفاً فاضحاً ضدك؟

جعلها التهكم البارد في نبرة صوته تسدل أهدابها كي تخفي الألم المتقد في عينيها، ثم لوحت بيدها إشارة إلى أنها تسمح له بخلع معطفه لأنّ صوتها قد خانها.

ـ إذا لم تنقلي إلى تمثال جامد، هل أستطيع الحصول على فنجان شاي؟

خطا براندت عدة خطوات أوصلته إلى الكرسي الهزاز الذي طرح عليه معطفه. وكانت عيناه تتقدان بغضب عارم فيما كانت جوان ترتجف لا إرادياً تحت مطرقة أسئلته القاطعة.

أدارت عينيها البنيتين اليقظتين والمتعبتين نحوه، فهنالك مجازفة خطرة في مشاركته أي شيء. وسألته: لماذا؟

ـ لأن الهواء باردٌ في الخارج وفي هذه الغرفة أنا أحتاج لشيء يدفئني. الشاي يكفي لذلك، إلا إذا رغبت في التطوع.

أتى كلامه من دون دفء أو مزاح، فلم تجب جوان بل هرعت إلى المطبخ حيث كان إبريق الشاي ما يزال يسخن على الموقد.

عندما عادت وجدت براندت جالساً على الكنبة، فتجاهلت الطرف الخالي منها وفضلت الجلوس بعيداً عنه على الكرسي الهزاز بعد أن

وضعت فنجان الشاي على الطاولة أمامه فجذب تصرفها نظرة مليئة بالتهكم الشديد.

كانت يده ثابتة كالطود عندما أخذ فنجانه منها:

ـ هل عثرت على عمل؟

هزت رأسها قليلاً كي تفهمه أنها لا تهتم للأمر كثيراً: ليس بعد.

كان ظهره متكئاً بتكاسل على مؤخرة الكنبة وكان متمالكاً نفسه وغير متأثر بالتوتر الذي يجعل أعصاب جوان تنتفض.

ـ أي نوع من العمل تبحثين عنه؟ أعرف الكثير من رجال الأعمال وربما أستطيع أن أدبر لك عملاً.

رفضت عرضه بحدة:

ـ كلا، شكراً لك. ولكني أفضل أن لا أكون مدينة لك بأي شيء يا سيد ليون.

فتقلصت عضلات وجهه، وضاقت عيناه بنظرة إلى وجهها ويديها المشبوكتين فوق حضنها:

ـ أرى أنك ما تزالين ترتدين القلادة.

سارعت يدها لإخفاء القلادة بعد فوات الأوان. كان من الغباء أن تضعها بصورة دائمة.

ـ إنها قطعة مجوهرات جميلة.

قطب حاجبيه وهو يحدق إلى الشاي في الفنجان: أجل!

وساد الصمت في الغرفة. الجهد الذي بذلته جوان للبقاء من دون حراك وللمحافظة على التصرف معه مثل غريبة، جعل قلبها يصرخ من الإحباط.

انتفضت فجأة لأن صوت دقات قلبها كان يصم أذنيها:

ـ براندت! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

جلب التلفظ باسمه الأول لمعاناً سريعاً من الرضى في نظراته المركزة باستمرار على اليأس الظاهر في عينيها، ثم تحولت نظراتها

بسرعة نحو باب غرفة النوم حيث تنتظر كاي والتي من دون شك وضعت أذنها على ثقب المفتاح لتسترق السمع.

أرجع براندت رأسه للوراء متشامخاً كالأسد فيما عيناه اليقظتان لم تفوتا تعابير الخوف المحفور على ملامحها.

ـ أريد أن أتناول العشاء معك هذه الليلة.

قبضت يداها على ذراعي الكرسي ودفعت نفسها بعنف لتنهض وتبتعد عنه تاركة إياها تهتز بقوة وراءها: كلا!

تماوج لون شعرها العنبري المنسدل على كتفيها عندما هزت رأسها بالنفي. كان رفضها قوياً وعاصفاً.

حملتها قدماها برشاقة نحو نافذة شقتها ونظرت إلى الشارع في الأسفل حيث ركزت انتباهها على حركة السير، ولكن إحساسها به جعلها تعرف اللحظة التي نهض فيها. كتمت السجادة وقع خطواته ولكن الاهتزازات أنبأتها باقترابه منها، وامتنعت أن تلتفت حتى عندما رأت طلته من جانب عينها، فها هو الرجل النحيل والجذاب يقف إلى جانبها.

حدق براندت أيضاً إلى الشارع في الأسفل، ثم رفع نظره إلى سماء الشتاء الزرقاء الشاحبة:

ـ أضحي بأي شيء من أجل عاصفة ثلجية هذا الشهر!

جاءت نظرته السريعة إليها على غير توقع منها وضبطها وهي تتفحصه خفية. قبضت فكرة أن تحجز مع براندت في شقتها على قلبها المجروح فنتائج مثل هذه الحادثة ستكون مؤلمة لها.

طرحت جانباً ما قصده بصورة مبطنة لتدرأ عنها تمنيها الأمر ذاته.

ـ لماذا تتمنى أن يحدث شيء كهذا؟

رد براندت عليها بتهكم مرير:

ـ لماذا؟ على الأقل، كانت تلك المرة الوحيدة التي أظهرت فيها شيئاً من الانفعالات الإنسانية، ولم أكن إلى جانب مخلوق من دون

www.elromancia.com

أحاسيس.

كانت ملاحظته اللاذعة أقوى من أن تستطيع تحملها بهدوء. من دون أحاسيس! وكل عصب بها يشعر بقربه. يجب أن تنتقم لأنه يتهكم عليها.

استدارت حول نفسها بحدة وعيناها البنيتان تتقدان بشرر الانتقام ورفعت يداً مفتوحة لتسدد صفعة على فمه المزموم الذي أثار غيظها، واتهمها بأنها خالية من المشاعر. ولكنّ يدها جمدت بقسوة على بعد سنتيمترات من وجهه بقبضة حديدية أطبقت حول رسغها، غير عابئة بأن ذلك أوقف تدفق الدورة الدموية إلى يدها. جعلها الشعور بالكبرياء تشمخ برأسها لتسمح له أن يرى وجهاً لوجه غضبها العارم.

اتهمته جوان بمرارة:

ـ أنت الحقير والمقرف الذي يستغل الناس من أجل مآربه! وتدفع الآخرين بغرور مستمر إلى القيام بما تريد. أنت تشبه وحوش الغابات وتتلاعب بعواطف الآخرين وتنزل بهم العذاب حتى يتوسلوا منك الرحمة. أنا لست كذلك!

لوى يدها بوحشية كي يدنيها من جسمه القوي ولف يده الأخرى حول خصرها وكأنه على وشك أن يعاقبها. كانت لمسة واحدة منه بمثابة الشرارة التي أوقدت نيران حبها له. ارتعدت فيما كانت عيناها المخمليتان الدائريتان تتوسلانه أن يرحمها وهي بذلك تناقض ما جزمت به منذ لحظة واحدة فقط.

لمعت عيناه الزرقاوان برضى ماكر وهما تقرآن الخوف في عينيها. ثم جالت نظراته على وجهها وشفتيها المرتجفتين اللتين ارتسمت عليهما كلمة «كلا» ولكن الصوت لم يخرج من حلقها فعادت وأغلقت فمها وكأنها منومة مغناطيسياً.

عانقها بطريقة وحشية فكاد يحطم عظامها ثم حرر رسغها من قبضته ولكن ذراعيها كانتا مثبتتين على صدره وتشعران بدقات قلبه

القوية. أعمتها قوة عناقه فاجتاحتها عاصفة من الأحاسيس أضاعتها عن كل شيء.

ثم دفعها فجأة بعيداً عنه. كان جسمها يتألم من عنف عناقه أمّا وجهها الذي غطاه شعرها الطويل فقد ارتدى لوناً أحمر قانياً بسبب ما تشعر به من العار.

قال براندت بصوت أجش:

ـ لم أعد مديرك يا جوان، باستطاعتك أن تطلبي مني أن أرحل أو أن أبقى.

همست:

ـ لا أستطيع أن أسمح لك بالبقاء.

ألح عليها في غضب:

ـ لماذا؟ ألا تشعرين حقاً بالأحاسيس التي أشعر بها أنا؟ أنا رجل بالغ وأنت امرأة بالغة، وليس هناك شيء آخر يربطنا معاً ولا عمل ولا شيء يجعلك ملزمة بإطاعتي. إذا كنت لا ترغبين بي فاطلبي مني أن أغادر.

رجته الصرخة اليائسة التي أتت منها ألاّ يجبرها على الاعتراف بحبها له:

ـ براندت! دعني أحافظ على بعض الكبرياء واحترام الذات. أنا ببساطة لا أستطيع التصرف عكس الطريقة التي نشأت عليها والقيم التي أؤمن بها. اذهب إلى انجيلا وأرجوك أن تدعني لحالي!

صرخ بها في قسوة:

ـ انجيلا؟ ومن تكلم عن انجيلا؟ لا علاقة لها في هذه المناقشة. إن الأمر له علاقة بي وبك فقط.

تخلصت جوان من إمساكه بها وحاولت أن تضع مسافة بينهما قبل أن تذوب بين ذراعيه:

ـ ولكن في النهاية سيكون لها علاقة.

سألها براندت مطالباً:

ـ أجيبيني عن سؤال واحد. هل تعتقدين أني أحب انجيلا؟

صرخت به وقد كرهت الطريقة التي كان يعذبها بها عن عمد عندما يعيد إلى مخيلتها صورتهما معاً.

ـ بالطبع! إنها كاملة ومثالية.

فارتفع صوته ليصبح ذا نبرة أقوى:

ـ ولكنها لا تتجول حافية القدمين وليست عنيدة مثل الثور وليست شقراء مشاكسة لا تستطيع أن ترى أبعد من عدة سنتيمترات من أنفها من دون أن تضع النظارات الطبية.

فغرت جوان فاها غير مصدقة لما تسمعه. كانت تعابير عينيه البراقتين اللتين تتفحصانها بهدوء تبعثان برسالة لم تكن متأكدة أنها فهمتها صحيحاً. هزت رأسها قليلاً.

أكمل براندت ببطء متعمد:

ـ لو كان باستطاعتك رؤية ما هو أبعد من أنفك، لاستطعت أن ترى أني أحبك.

فتنفست الصعداء: وانجيلا؟

ـ انجيلا هي مثل لعبة من الخزف، كما قلت. لقد عرفتها منذ وقت طويل، ولكني لم آخذ وقتاً طويلاً كي أعرف أنها ليست من النوع الذي أرغب به. أقسم لك أنني لم أجتمع بها أبداً بعد أن حجزنا أنا وأنت في عطلة الأسبوع إلا عندما خرجنا لتناول العشاء.

ضاقت عيناه وأسرع في إكمال حديثه قبل أن يتسنى لها أن تقاطعه:

ـ سأرضى ببعض الحنان الآن، وكل ما أطلبه منك أن تعطيني الفرصة كي أجعلك تهتمين لأمري مثلما أهتم لأمرك.

ضحكت جوان فيما كانت السعادة تفور من قلبها كمياه نافورة، ثم مررت يدها بوهن فوق جبينها:

ـ أهتم بك! لقد أحببتك في كل لحظة تقريباً منذ أن عملت لديك.

فغمرها بين ذراعيه. في هذه المرة لم يكن يتصرف كي يعاقبها بل كان عناقه رقيقاً ومليئاً بالحنان فكأنه كان يمسك بوردة هشة، أما هي فأمسكت وجهه بكلتا يديها. وهمست وهي تشعر بالخوف:

ـ براندت، هل هذا حقيقة؟ هل أنا أحلم؟

أقسم لها براندت:

ـ إذا كان ذلك حلماً فأنا لا أنوي أبداً أن أستيقظ منه إلا وأنت بين ذراعي، لقد ساءلت نفسي باستمرار كم من الوقت كنت سأحتاج لأدرك أنك أكثر من سكرتيرة كفوءة وجذابة، لو لم تهبّ تلك العاطفة الثلجية. ولكنك تصرفت دائماً بطريقة مهنية، ودائماً كان العمل هو المهم.

فردت عليه جوان ووضعت ذراعيها حول عنقه:

ـ وأنت كنت كذلك.

ابتسم.

ـ ثم انقطع التيار الكهربائي، وكان من الطبيعي والمناسب أن أنام وأنت إلى جانبي، ولكني وجدت من المستحيل تقريباً أن أعثر على هذه الفتاة عندما عاد النور.

ردت عليه جوان وهي تنكمش بين ذراعيه القويتين اللتين ستؤمنان لها الحماية والدفء.

ـ كانت تختبىء مخافة أن تكشف أنها تحبك.

فمازحها براندت بلطف:

ـ ألم تكن خائفة من أن تخسر وظيفتها؟

همست له:

ـ لقد تخليت عنها، ألا تذكر؟

ـ أنا أتذكر. كاي! باستطاعتك الخروج الآن.

أبقى جوان بين ذراعيه وقد ابتسمت وعلا الاحمرار وجهها خجلاً.

فتح باب غرفة النوم وخرجت كاي بتردد، فرمقت عيناها

السوداوان جوان وهي تستريح راضية بين ذراعي براندت، بارتياب حذر فأعلن لها براندت بسرور:

ـ أعتقد أن براندت ترغب في أن تكوني إشبينتها يوم زفافنا.

اتسعت ابتسامته عندما أجفلت جوان وأخذ اللون المشع في عينيه الزرقاوين يشدّ لمعان السعادة من عينيها، فعضّت على شفتيها المرتعشتين:

ـ هل نسيت أن أخبرك أني أريدك أن تكوني زوجتي؟

قال ذلك دون أن يحرجه حضور كاي المندهشة.

ـ أليس ذلك هو المسار الطبيعي للأحداث عندما يحب شخصان أحدهما الآخر؟

ـ أجل.

لفظتها في البدء بنعومة ثم وبصرخة سعادة كررت جوان قبولها الزواج منه.

ـ أجل، أجل، إنه لكذلك.

ـ سنتناول العشاء مع والدي الليلة وغداً سنذهب إلى منزلك. هل أستعجل الأمور كثيراً؟

أمال وجهه وهو يبحث في وجهها عن أي إشارة من الحيرة.

ضحكت جوان وانهمرت دموع السعادة من عينيها:

ـ براندت.. يا حبيبي. إذا كان هناك من تعليق، فأنت لا تستعجل الأمر أبداً.

أخذت نفساً عميقاً وهي تتلفظ بهذه الكلمات، فأحاطت ذراعاه بها وأخذ يعانقها. ولم يسمع كلاهما كاي التي شاركتهما سعادتهما بدموعها المنهمرة وهي تقفل باب غرفة النوم وراءها بحذر.

* * *